دانتي أليجييري

الكوميديا الإلهية

الجحيم

ترجمة

د. عبد الله عبد العاطي النجار

عصام السيد علي



دانتي أليجييري

الكوميديا الإلهية "الجحيم"



تحفة أثرية خالدة، وعمل أدبي هو الأضخم والأعظم في تاريخ الأدب الإيطالي، وواحدة من أعظم مائة كتاب في تاريخ البشرية، وأكثر الكتب طباعة ونشرا وترجمة بعد الكتب السماوية المقدسة في العالم... إنها "الكوميديا الإلهية".

رحلة رمزية فريدة عبر عوالم أُخروية قام بها أعظم كتاب القرون الوسطى قاطبة "دانتي أليجييري" لإنقاذ روحه بعد أن تاه في غابة مظلمة، رمز الحياة الآثمة، فيقوده "فيرجيليو"، رمز العقل، نحو "الجحيم" و"المطهر" ثم تقوده "بياتريتشي"، رمز الإيمان، نحو الفردوس... إنها رحلة طويلة ومضطربة صوب المعرفة والإيمان تعج بالرموز التي أكسبتها إبهاما وتعقيدا وبريقا في عيون القراء والنقاد والمفسرين.

نقل البشرية جمعاء من حالة البؤس والشقاء إلى حالة السعادة والهناء هو أحد مآرب كتابنا هذا حسبما ورد على لسان كاتبه من خلال الغوص في أعماق التاريخ وسرد التجارب الحياتية الثرية، وتصنيف البشر طبقا لأعمالهم في دنياهم ما بين جهنم ومطهر وفردوس، ومن خلال ما احتواه العمل من فلسفة وحكمة وأخلاق وعاطفة.

قوة البناء ومتانة الأسلوب وترابط المعاني سمات تنفرد بها هذه الملحمة دون غيرها.



ISBN 978-9948-39-754-0



الكوميديا الإلهية

- الجحيم -

دانتي أليجييري

الكوميديا الإلهية
- الجحيم -
دانتي أليجييري

عبد لله عبد العاطي النجار
عصام السيد علي

اسم الكتاب:الكوميديا الإلهية – الجحيم – دانتي أليجييري
ترجمة وتقديم: د. عبد الله عبد العاطي النجار – عصام السيد علي
إخراج الكتاب: مداد للنشر والتوزيع
الرقم الدولي للكتاب: ISBN 978-9948-39-754-0
الطبعة الأولى: 2019
التصنيف العمري: 17+

تمت الموافقة على الكتاب من قِبل المجلس الوطني للإعلام
بدولة الإمارات العربية المتحدة.
رقم إذن الطباعة: MC-10-01-7306532

مداد للنشر والتوزيع مداد
Medad Publishing & Distribution
الجائزة على أفضل دار نشر محلية
Medad Publishing & Distribution
دولة الإمارات العربية المتحدة - دبي

@medadpublishing
@medadpublishing
medadpublishing1



www.medadpublishing.com
e-mail: info@medadpublishing.com

جميع ما ورد في محتوى الكتاب يعبّر عن آراء الكاتب، ولا يعبّر عن رأي مداد للنشر والتوزيع

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقا لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

يـقـول راجــي رحــمـة ربـه الحنان
عبد الله بن عبد العاطي الترجمان
وكـذا عـصام الـسيد وهـما الاثـنـان
لـكـومـيـديـا "دانــتــي" مـتـرجــمـان
نحــمــد الله الـكـريـــم الـمـنّــان
الـــذي عـلّــم بـالـقـلـم الإنـســـان
وقـــال لـلـبـشـريـة اقـــرأوا لـتـعـرفـوا
فقد جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
ونـصـلـي ونـسـلـم عـلـى خـيـر الـبـرية
محمد الأمــيّ الـذي علّـم البشرية
وحــثــنــا عــلـى الـعـلـم الـرصــيـــن
وأن نـطـلـبـه ولــو فـــي الـصـيــــن
وبــعــدُ، فــهــذه تـرجـــمـة يـسـيـرة
لـ"كـومـيـديـا دانـتـي" الـشـــــهـيـرة
مؤلـفـهــا شـهـــد لــه الـجـمـيـع
بــأنـــــه فـــي فــنــه بـــديـع
رغـــم كـثـرة مــا اخـتـلـفـنـا معه
وقـــد أشـــرنـــا لـــذاك فـــي مـوضـعـه
وقـد أفـضـنـا فـي الـشـرح والتوضيح
لـيـخـرج لـلـقـراء فـي غـايـة التنقيح
وقـد اسـتـفـدنـا مـن تـرجـمـات سابقة
كـــانــت لــنــا فـــي دربـــنـــا مـرافـقـة
كترجمة أستاذنا الدكتور حسن عثمان
فـفـضـلها علـينا واجــب الـعـرفـان

فقد استفدنا منها الكثير
وكانت لنا كالقمر المنير
وقد اختلفنا في أشياء وأشياء
كالأفكار والتواريخ والأسماء
وقمنا بذكر ذاك وتصويبه
وهذا لا يقلل منه ولا يعيبه
ومن ذا الذي يصل إلى الكمال
أو غاية الإبداع والجمال
فكل شيء يشوبه النقصان
مهما علا في فنه فنان
سبحانه هو الكامل وحده
لا شيء قبله ولا بعده
وهذه الترجمة بقولٍ دقيق
مزيج من الشعر والنثر والتحقيق
نرجو بها نَيْل رضا القراء
وأن تكون للمكتبة العربية إثراء
وقبل ذا نرجو رضا الرحمن
وأن ننال برحمته الغفران
فرضاه غاية كل إنسان
باختلاف المعتقدات والأديان

عبدالله عبدالعاطي النجار – عصام السيد علي

مقدمة المترجمين

تقول د. كلثم جبر في مقالة لها بعنوان "فيض الخاطر... أهمية الترجمة في العمل الأكاديمي" نطالعها على صفحات "الراية"[1] متحدثة عن أهمية الترجمة: تشكل الترجمة عاملا أساسيا في التواصل بين الشعوب، ونقل المعارف والعلوم بين الأمم، وتطوير التجارب الإنسانية على مستوى العالم، ولولا الترجمة لما وصلت علوم الأولين للآخرين، وخاصة في أمم الأزمنة الغابرة التي كانت الترجمة هي وسيلة التواصل الثقافي بينها وبين ما تلاها من أمم، وبذلك يضيف اللاحق للسابق مستجدات العلوم والمعارف الإنسانية، ما يسهم في تقدم البشرية وازدهارها. هذا وقد عني الخلفاء المسلمون الأوائل في عصر النهضة والرقي الذي عمّ أركان الدولة الإسلامية بالترجمة وكان أكثرهم نشاطا في هذا الأمر الخليفة العباسي المأمون فجعل من "بيت الحكمة" الذي أنشأه والده هارون الرشيد مركز إشعاع فكري جلب له الكتب من أقصى البقاع، وأمر بترجمتها إلى العربية، (وقال بعض المؤرخين إن المأمون كان يدفع ثمن الكتاب المترجم ذهبا) وفي عهده أيضا بدأ كثير من المسلمين في دراسة الكتب التي ترجمت إلى العربية في الطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم، ويقول أحد المستشرقين إن عصر المأمون كان: (أزهى عصور بني العباس في تاريخ النهضة العلمية في العصر العربي، إذ كان المأمون نفسه من أساطين العلم، يختار أصحابه ورجال الدولة من الصفوة الأفذاذ من الشرق والغرب. ذلك إلى جانب

1. صحيفة عربية يومية تصدر في قطر وتقدم أحدث المعلومات. وفي تاريخ 10 مايو 1979 صدرت جريدة (الراية) التي كانت أسبوعية في البداية إلى أن تحولت إلى يومية سنة 1980.

المستشارين المفكرين والمترجمين، الذين ملأ بهم بلاطه وزين بهم ملكه، كما قيل أيضا إن بلاطه كان يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعر والأطباء والفلاسفة الذين استدعاهم من جهات متعددة من أنحاء العالم، وشملهم جميعًا بعنايته وعطفه وتشجيعه مهما اختلفت جنسياتهم ودياناتهم). وكما استفاد العرب من علوم الغرب في عهد المأمون، فقد استفاد الغرب من العرب إثر انهيار الحكم العربي للأندلس، فلم تقتصر غنائم الفرنجة على ما تركه العرب من ممتلكات وغنائم الحرب، بل كان الأهم هو خزائن الكتب التي تمت ترجمتها بعد ذلك إلى اللغات الأوروبية، فأسهمت في صنع الحضارة الأوروبية المعاصرة. في الواقع، لم يعد بمقدوري أن أبدأ أيّا من كتبي بمقدمة لا تتناول أهمية الترجمة، فهذا ما دأبت عليه، وما سأواصله ما بقي في العمر من بقية إن شاء الله، عسى أن يدرك كل من يقرأ هذه الكتب الدور المحوري الذي تضطلع به الترجمة في نهضة وتقدم الأمم.

اليوم وبعد صدور النسخة العربية للديكاميرون في سلسلة "المائة كتاب"، ونجاحها ونفاذها من الأسواق في وقت قليل للغاية رغم كثرة المطبوع منها، نحن أمام تجربة جديدة لترجمة أهم عمل قام به الشاعر والكاتب الإيطالي الأشهر "دانتي أليجييري" أحد أعمدة الأدب الإيطالي والأوروبي بل والعالمي في آن. نحن أمام الملحمة الإنسانية والأدبية الأكبر والأشهر، نحن أمام "الكوميديا الإلهية".

وإحقاقا للحق فكما كانت ترجمة "الديكاميرون" مقترحا موفقا وإبداعيا من أ. رفعت سلام[1]، رئيس تحرير السلسلة والشاعر والمترجم

1. رفعت سلام، شاعر ومترجم مصري (16 نوفمبر 1951 -). التحق عام 1969 بجامعة القاهرة، ودرس الصحافة، وتخرج منها عام 1973. شارك بدأً من عام 1977 في تأسيس مجلة "إضاءة 77"، ثم أسس وأصدر

الكبير، فها هي الآن "الكوميديا الإلهية" تُترجم بناء على رغبته التي تستند بالطبع على رؤيته الثاقبة بأنه قد حان الوقت لتقديم هذا العمل الإبداعي في ثوب جديد، وبلغة ومنهجية جديدة تختلف شديد الإختلاف عن المرات السابقة التي ترجمت فيها هذه الملحمة الإنسانية الفريدة، والتي قلما يجود الزمان بمثلها من الناحية الأدبية، ولا بمثل من قام بتأليفها على هذا النحو.

تُرجمت الكوميديا الإلهية إلى معظم لغات العالم تقريبا، وأحيانا كثيرة نجد أنها ترجمت إلى اللغة الواحدة عدة مرات. لكن ما يهمنا الآن وباختصار هو كيفية تناولها وترجمتها إلى اللغة العربية. كتب طه فوزي – وهو على دراية متميزة باللغة الإيطالية عن "دانتي أليجيري" في القاهرة سنة 1930. وهو كتاب موجز جيد، وتحدث عن حياة الشاعر، ولخّص فيه "جهنم والمطهر والفردوس". وكانت هناك جهود حثيثة لترجمة الكوميديا إلى اللغة العربية. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ترجمة عبود أبي راشد النثرية "للكوميديا" بعنوان "الرحلة الدانتية في الممالك الإلهية"، بأجزائها جهنم والمطهر والنعيم" عام 1930– 1933. في عام 1938 قام المحامي الأردني أمين أبو شعر بنشر كتاب "جحيم دانتي". ثم كانت الترجمة الأخرى للأستاذ الدكتور حسن عثمان (الترجمة الأشهر والأفضل والكاملة وحظيت بالاحتفاء الأكبر

مجلة "كتابات" الأدبية، التي صدر منها ثمانية أعداد. حائز على [جائزة كفافيس] الدولية للشعر 1993. صدر له سبعة أعمال شعرية: "وردة الفوضى الجميلة" (1987)، "إشراقات رفعت سلاَّم" (1992)، "إنها تُومئ لي" (1993)، "هكذا قُلتُ للهاوية" (1995)، "إلى النهار الماضي" (1998)، "كأنَّها نهاية الأرض" (1999)، "حجرٌ يطفو على الماء" (2008). بالإضافة إلى ذلك، فقد قام بترجمة "أوراق العشب" كاملة ولأول مرة إلى العربية (2016)، وقد احتفت بهذه المناسبة جريدة الأهرام. وقد استغرق إتمام هذا العمل منه قرابة أربعة سنوات كاملة.

وقد ترجمها من اللغة الأم وليس من لغة وسيطة)، وهناك أيضا ترجمة الشاعر العراقي كاظم جهاد[1]، التي قام بها بدعم من منظمة اليونسكو الثقافية العالمية وقد ترجمها عن الفرنسية، وكذلك ترجمها السوري حنّا عبود[2] عن الإنجليزية، فضلا عن ترجمات أخرى ظهرت، لكنها لم تحظ بالصيت، كترجمة د. سامي الدروبي، وعلى رمضان فاضل. كلّها ترجمات ثمينة، ولكلّ ميزتها. والحق يقال إننا استفدنا كثيرا من الترجمة المصرية السابقة للدكتور حسن عثمان للكوميديا الإلهية، على الرغم من اختلافنا معه في كثير وكثير من المواضع، كما سنرى في الترجمة بأجزائها الثلاثة. وهنا أود التنويه أيضا إلى أننا استدركنا الكثير من الأمور الهامة — كآراء وتعديلات وتصويبات عديدة — على ترجمة الدكتور/ حسن عثمان مدونين إياها في أماكنها داخل الهوامش المدرجة لشرح الأشعار. ونؤكد أيضا في هذا الصدد أن هذه اجتهادات منا، وجهد وعناء تكبده هو أولا ونحن ثانيا، من أجل القارئ الكريم لنصل به إلى المفهوم السليم والصحيح لهذه القطعة الفنية الأشهر لـ"دانتي"، على الرغم من اختلافنا معها ومع كاتبها من الناحية الدينية. ولقد تمت ترجمة "الجحيم" أو الجزء الذي بين أيدينا الآن من عدة

1. شاعر عراقيّ ولد في الناصريّة في جنوب العراق عام 1955 ويقيم في باريس منذ 1976. يمارس النقد الأدبيّ وترجمة الشّعر والفلسفة ويُعلّم الأدب العربيّ والأدب المقارن في "المعهد الوطني للّغات والحضارات الشرقيّة" (إينالكو) بباريس. ترجم للشاعر الفرنسي أرثر رامبو "**Arthur** Rimbaud".

2. يعد "حنا عبود" واحد من أهم نقاد الشعر في "سورية" خلال النصف الثاني من القرن العشرين وهو لم يقصد بابا واحدا في النقد بل له مؤلفات عديدة في نقد الفكر الفلسفي والسياسي والاقتصاد الأدبي، وترجمة النقد ونظرية الأدب. وله العديد من الدراسات من نقد الشعر إلى نقد النقد، ومن النقد إلى نظرية الأدب وعلم الجمال، ومن هذين إلى دراسة الفكر الإنساني ومؤخرا إلى الميثولوجيا. مسيرة أدبية طويلة نتاجها حتى الآن تسعون كتابا بين مؤلف ودراسة وترجمة.

نسخ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن "دانتي" لم يترك من "الكوميديا" نسخة واحدة بخط يده، وتعود أقدم نسخة خطية إلى نحو أربع عشرة أو خمس عشرة سنة بعد وفاته (1335 أو 1336). وقد اعتمدت ثلاث نسخ: طبعة الجمعية الدانتية الإيطالية ونسخة "أكسفورد"، وطبعة "ماريو كازيلا". وكذا الترجمات الإنجليزية.

دانتي أليجييري "Dante Alighieri" — شخصيته — حياته:

ولد "دانتي" في "فلورنسا"[1] في نهاية مايو عام 1265. وتم تعميده باسم "دانتي أليجييري" ويقال بلا تأكيد أن هذا الاسم يعني حامل الجناح الباقي على الزمن. ينحدر من أصول رومانية نبيلة.

كان "دانتي" واسع الثقافة، حريصا على القراءة والعلم، وكان يجد متعته في تلك الدراسات المتعددة، وفي كتابة الشعر، وكانت هذه هي طريقته وسلواه لتحمّل المحن التي مرت عليه طوال حياته، فكانت له بمثابة الملجأ والملاذ.

كان "دانتي" فارسا ومقاتلا شجاعا. ففي عام 1285 عادت المشاكل بين الحزب البابوي "الجلف" والحزب الإمبراطوري "الجبلّين" داخل إيطاليا[2]، وتجمع الجلف بقيادة "فلورنسا"، وتجمع الجبلّين بقيادة

1. مدينة في الجزء الشمالي من وسط إيطاليا، كانت عاصمة لإيطاليا لفترة وجيزة بعد توحيد إيطاليا (1865-1871). كانت "فلورنسا" في أوروبا - خلال هذا الوقت من العصور الوسطى- مركزًا هامًّا من الناحية الثقافية، والتجارية والمالية، حيث تعتبر مهد عصر النهضة، وخروج أوروبا من عهود الفقر والظلام.واشتهرت في العالم بأسره كمهدٍ للفن والعمارة، بمبانيها التاريخية العديدة ومعالمها ومتاحفها الغنية، فاشتهرت باعتبارها واحدة من أجمل وأهم مدن العالم. وقد سميت هذه المدينة "أثينا العصور الوسطى"، تيمنا بعظمة هذه المدينة والمكانة المرموقة التي وصلت إليها.

2. إيطاليا من الوجهة السياسية لم يكن لها وجود، بل الذي كان موجودا هو دول - المدن، وهي قطع ممزقة حرة في أن تهلك نفسها في الأحقاد والحروب. فقد دمرت "بيزا" منافستها التجارية "أملفى"، ودمرت "ميلانو"

"أريتزو"[1]، وقد وقعت بينهم معركة "كامبالدينو" الفاصلة في عام 1289. قاتل "دانتي" بشجاعة في مقدمة فرسان "فلورنسا"، وقد هاجمهم فرسان "أريتزو" بقوة، وتأرجحت المعركة وتطورت، وتقدم ومن معه وحققوا النصر. وأيضا اشترك في القتال ضد "بيزا"[2]، وحصار قلعه "كايرونا"، التي بقيت بيد قوات "فلورنسا"، فكان مثالا وقدوة للجندي الذي يقوم بواجبه نحو بلده.

كما كانت له حياة اجتماعية، والعديد من الأصدقاء، فقد تزوج في سن باكرة كما هو الشائع في تلك الحقبة الزمنية في إيطاليا من "جيما دي مانيتو دوناتي". ولكنه لم يذكر عنها شيئا بل ولا عن حياته الأسرية. ولا ندري إن كان السبب في ذلك إتباعه طريقة شعراء "التروبادور"[3]، الذين فضلوا أن تظل الحياة الأسرية بمنأى عن الشعر،

"بياتشنوسا"، ودمرت جنوة و"فلورنسا" "بيزا"، ودمرت "البندقية" "جنوة". أدى انهيار الحكومة المركزية على أثر غزوات البرابرة، و "الحروب القوطية " التي ثار عجاجها في القرن السادس، وانقسام شبه الجزيرة الإيطالية، وتهدم الطرق التجارية الرومانية، والنزاع بين اللومبارد والباباوات، وبين الباباوات والإمبراطورية، وخوف البابا أنه إذا قامت سلطة عليا في إيطاليا تمتد من الألب إلى صقلية، فإن قيامها يجعل البابا أسيراً ويخضع رئيس أوروبا الروحي إلى رئيس الدولة السياسي، كل هذا فكك وحدة إيطاليا ومزقها كل ممزق. ولم يقتصر أشياع البابوات وأشياع الأباطرة على تقسيم إيطاليا شيعاً، بل قسموا فضلا عن ذلك كل مدينة تقريباُ إلى جلف وجبلّين "Guelf & Ghibelline"، ولما أن نشبت نار النزاع بين الطائفتين استخدم الشعارين القديمين منافسون جدد، وظلت نيران الأحقاد مشتعلة في جميع مناحي الحياة. فكان إذا وضع الجبلّين الريش في ناحية من قبعاتهم وضعها الجلف في الناحية الأخرى، وإذا اتخذ الجبلّين وردة بيضاء شارة لهم اتخذ الجلف شارة حمراء. وانتزع الجبلّين في ميلانو تمثالاً للمسيح

1. (Arezzo) مدينة إيطالية عريقة في وسط إيطاليا ضمن إقليم "توسكانا" وعاصمة مقاطعة أريتزو، تقع جنوب شرق "فلورنسا". أريتزو قد تكون واحدة من أهم اثني عشر موقعا للمدن الإترورية، أو كما تسمى دوديكابوليس "Dodecapolis". ووصفها "تيتوس" "ليفيوس" بأنها واحدة من كبريات المدن الإتروسكان.

2. مدينة تاريخية تقع على الساحل الغربي لشبه الجزيرة الإيطالية، على نهر "أرنو".

3. (Troubadour) هو شاعر أو موسيقي عاش في القرون الوسطى، وكان يؤدي أدواراً أو يخصص شخصاً

أو هناك سبب آخر لهذا. يذكر أن "جيما" كانت من أسرة طيبة ذات نفوذ في المجتمع "الفلورنسي". وأنجب "دانتي" منها خلال عشر سنوات ثلاثة من الأبناء. "بيترو" و"جاكوبو" وبياتريتشي". ويبدو أنه لم يشعر بالسعادة داخل الأسرة، قد تكون "جيما" لم تُقدّر إحساسه الشاعري، ومع هذا فقد رعت مصالح الأسرة حين تعرّض "دانتي" للنفي.

قام "دانتي" بقيد نفسه في عام 1295 بنقابة الأطباء والصيادلة، لكنه لم يقم بممارسة أي منهما. ولكنهما مكّنتاه من الدخول للوظائف العامة والحياة السياسية، كما كان سائدا في ذلك العصر. فاشترك في اللجان وبعض المجالس الحكومية، حتى أصبح عضوا في مجلس المائة. وبعثته

لتأدية هذه الأدوار منشداً أشعار ألفها عند الملوك والسلاطين في الجنوب الشرقي لفرنسا وسرقسطة في مملكة "أراجون" وضواحيها بالخصوص. أصل هذا النوع الموسيقي هو أندلسي، اسم الكلمة مشتق من طرب وكلمة دور. وكانوا يعزفون الموسيقى متنقلين بين القصور، يعني كانوا يدورون من قصر إلى آخر. كاد الإجماع أن يكون تاماً بين المؤرخين وعلماء الاجتماع على أن فتح العرب للأندلس كان أهم حدث حضاري اجتماعي وقع في العصور الوسطى. ذلك بأنه لم يكن غنماً وكسباً للعرب بقدر ما كان نوراً للشعوب الأوربية جمعاء. فلقد انبعثت من بلاد الأندلس حضارة عالمية فاضت على جميع شعوب أوروبا بمختلف ألوان المعرفة من علوم وفنون وآداب. سرعان ما وفدت إلى الأندلس العربية البعوث تلو البعوث والوفود تلو الوفود، من سائر بلاد أوروبا ينهلون من علوم العرب وفنونهم. فعلى سبيل المثال، فلقد أرسل "جورج الثاني" ملك الإنجليز بابنة أخيه الأميرة "دوبانت" على رأس بعثة من بنات الأشراف، يرافقهن رئيس موظفي القصر الملكي الذي يحمل كتاباً من الملك المذكور إلى الخليفة هشام الثالث، جاء فيه: (فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة. فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا. وما كاد يبدأ القرن الحادي عشر حتى رأينا جماعات التروبادور أو الطروبادور تظهر في جنوب فرنسا ثم في ألمانيا، وبعدها جماعات (المينيسنجر Minnesingers). وكلها تتغنى بأوزان جديدة من الشعر استمدوها من ألوان الموشحات والأزجال الأندلسية، وألحان هي صدى ما تلقنته بعثات تلك البلاد في قرطبة من موسيقى زرياب ومدرسته وتلاميذه، وقد شابهت في أغراضها أغراض الموشحات وفي طليعتها الغزل والتغني بجمال الطبيعة والمدح والحماسة.

حكومة "فلورنسا" مندوبا لها في بعض المدن الإيطالية لتسوية بعض الأمور المتعلقة بالحكومة ولتدعيم حلف الجلف ضد الجبلّين. فقد ورد اسمه في سجلات الحكومة، مُبديا لرأي، أو لدفاع عن فكرة، أو يستدين لعدم كفاية دخْله. وقد كان مفكرا وعمليّا، ويتمتع بعلاقات حسنه بالنخب، وذا ثقافة، وكان عضوا في مجلس السنيوريّا، الذي يمثل سلطة الحكومة العليا في "فلورنسا"، وكان يُعد من أكفأ رجال السياسة وقتها.

كانت "فلورنسا" في القرن الثالث عشر مدينة ناجحة ذات قوة حربية، وثروة، ولكن مزقها الخلاف الحزبي بين آل "تشيركي" زعماء الجلف وآل "دوناتي" زعماء الجبلّين. وأيضا انقسم حزب الجلف إلى حزبي البيض والسود في "بستويا"[1] وقد نقلت حكومة "فلورنسا" بعض زعماء الجانبين من "بستويا" إلى "فلورنسا"، لتهدئة الوضع ولكن أدي هذا لنتيجة عكسية، فقد انضم آل "تشيركي" مع البيض، ووقف آل "دوناتي" مع السود، وكان هناك تقارب بينهم وبين السياسة البابوية، فدعمتهم "روما". وحدث بينهم مواجهة مسلحة، حاولوا فيها السيطرة على الحكم، وسيطرت الحكومة القائمة على الوضع، وقرروا نفي بعض قادة الجانبين لفترة من الزمن، بغية تهدئة الوضع الداخلي المتفجر حينها.

لم يقف السود عند هذا الحد، فشرعوا في زيادة نفوذهم، وذلك عبر

1. (Pistoia) مدينة في الجزء الشمالي من وسط إيطاليا ضمن إقليم توسكانا، وعاصمة مقاطعة "بستويا"، تبعد 30 كم شمال غرب "فلورنسا". رغم أن "بستويا" لا تتمتع بعدد الزوار الكبير كما هو الحال في مدن توسكانية الأخرى وغالبا بسبب البيئة الصناعية حولها، فإنها تحوي داخل الأسوارها القديمة مدينة جميلة ومحافظا عليها بمعالمها العائدة إلى القرون الوسطى.

اتصالهم بالبابا. طلب البابا من حكومة "فلورنسا" إرسال مائة فارسا للقيام بخدمة عسكرية على الحدود التوسكانية. واتجهت الحكومة للموافقة. لكن "دانتي" اعترض على هذا الاستغلال، وحاول جعل أبناء وطنه ينسون الخلافات من أجل مصلحة الوطن، لكن دون فائدة، فقد كان الخلاف يزداد يوما بعد يوم بين "فلورنسا" و"روما"، وبعثت "فلورنسا" وفدا للحكومة، لتسوية الأمر بشكل يحفظ مصلحة الطرفين، وكان "دانتي" ضمن الوفد.

واجه "دانتي" البابا بشجاعة، ولم يرضخ لمطالبه، ولم يتمكن الوفد من الوصول لما كان يهدف إليه. واستبقى البابا "دانتي" بعض الوقت، حتى يبعده عما يدور في "فلورنسا". طلب البابا من "شارل دي فالوا"[1] الأمير الفرنسي وقتها التحرك نحو "فلورنسا"، ليعيد لها السلام. وانضم السود إلى "شارل"، وتم هزيمة البيض المتحمسين، وتغيرت الأمور، وسيطر السود على الموقف بمساعدة "شارل". وصدرت الأحكام للتنكيل بالبيض ومنهم "دانتي". وقد تم اتهامه في يناير 1302 بمعارضة قدوم "شارل دي فالوا" إلى "فلورنسا"، والقيام بالغش والسرقة، واستخدام وظيفته للتربح حينما كان عضوا في مجلس السنيوريّا. وفرضت عليه غرامة بمبلغ خمسة آلاف من الفلورينات، تدفع خلال ثلاثة أيام، وعزله من وظيفته والنفي لمدة عامين. وفي الطريق يعلم "دانتي" بالمصير الذي

1. (Charles de Valois)(1270-1325) كان الابن الثالث لـ "فيليب الثالث" ملك فرنسا و"إيزابيلا" من "أراجون"، وحمل لقب إمبراطور القسطنطينية اللاتيني من عام 1301-1307، ومع ذلك لم تمتد سلطته إلا على الولايات الصليبية في اليونان، وأيضا في عام 1285 اعترف البابا به كملك "أراجون" بعد حرمان "بيدرو الثالث" الذي قام باجتياح مملكة صقلية البابوية. توفي في عام 1325، وبعد ثلاثة سنوات صار ابنه "فيليب دي فالوا"، ملك فرنسا حاملا اسم "فيليب السادس".

ينتظره، ولذا لم يدخل "فلورنسا". وفي مارس سنة 1302 صدر حكم بمصادرة أملاكه، وحرقه حيا في حال أمسكوا به. وكان جرمه الحقيقي معارضة البابا، فحُرم من العودة لوطنه الذي يعني له الكثير، ومرّ أمام عينيه مشوار عمره، وذكريات الحب والأهل والأصدقاء، وودع "فلورنسا" بقصورها وطرقها ونواحيها، ومضي إلى حياة المنفى والتشرد. لم يدرك وقتها أنه لن يعود إليها مطلقا. التقى "دانتي" بالمنفى مَن نفوا من "فلورنسا" من آل "تشيركي" وآل "أوبرتي" وآل "أباتي"، الذين اجتمعوا في "أريتزو" التابعة للجبلين، التي رأفت عليهم، وأثناء هذا تعرف "دانتي" على عمدة "أريتزو" "أوجوتشونى دلا فادجولا"[1]، ونشأت بين الرجلين صلة وطيدة، فأهدى إليه "الجحيم". قام المنفيون بإنشاء مجلس ينظم أمورهم، ضم من بينهم "دانتي"، وقد فكروا بمهاجمة "فلورنسا"، ووضعوا خطة للهجوم، وجمعوا قوات من الجبلين والبيض من "بيزا" و"بولونيا" و"بستويا"، واتفقوا على موعد محدد، غير أنهم لم يصلوا جميعا في الموعد، وهجم "الفلورنسيون" البيض قبل وصول الإمداد، ودخلوا "فلورنسا" من باب "سان جالو"، ووصلوا إلى "سان جوفاني"[2]. ولكنهم لم يتمكنوا من الصمود أمام "السود"، فانسحبوا بعد خسارتهم. شعر "دانتي" أن المنفيين غير موحدين، ويفقدون الإدراك الصحيح. ولصراحته لم يعد يحبه أحد منهم، فتركهم وصار وحده في حزب خاص به وحده!

1. (Uguccione della Faggiola)(1250-1319) قائد سياسي وأحد أبطال المشهد السياسي والعسكري في العصور الوسطى وخاصة فيما يتعلق بالصراعات بين البابوية والإمبراطورية.

2. بيت معمودية سان جوفاني (Battistero di San Giovanni): مبني في شكل سداسي الأضلاع، أنيق، يوجد أمام الكاتدرائية.

تنقّل من مكان لآخر، كسفينة بلا شراع أو ملاح وسط عواصف عاتية تتقاذفها. ومن المعروف أنه ذهب إلى "فيرونا"[1] عام 1304، وقد استقبله "بارتلوميو دلا سكالا"[2]. وغادرها بعد قليل، ويقال إنه بقي في "لوكّا"[3]، وقد يكون قام بالتدريس العام أو الخاص في "بولونيا"، وزار "بادوفا"[4]، وهناك قابل "جوتو دي بوندوني"[5]، وقال بعض الباحثين ومنهم "بوكاتشو"[6]، إنه توجّه نحو "باريس" ودرّس هناك في جامعة

1. (Verona) تقع في الجزء الشمالي من إيطاليا، بين "البندقية" و"ميلانو"، ومشتهرة بمنزل "جولييت" الشهير وقبرها وكذا منزل "روميو"، وبساحة "ديلي أربي".

2. سيد مدينة "فيرونا" وتوفى أيضا في عام 1304، وربما يرجع السبب في هذا إلى مغادرة "دانتي" لهذه المدينة مبكرا. خلفه أخيه ألبوينو "Alboino" في الحكم بعد وفاته.

3. (Lucca) مدينة إيطالية في الجزء الشمالي الغربي من وسط إيطاليا، ضمن إقليم توسكانا، عاصمة مقاطعة لوكا، على نهر "سيركيو"، حيث السهل الخصب. وتشتهر بكونها قد تكون أكبر المدن الإيطالية بأسوارها التي لا تزال سليمة تماما من القرون الوسطى (رغم أن المدينة وسعت قديما حدود السور الأصلي).

4. (Padova) مدينة إيطالية بإقليم "فينيتو" شمال البلاد، عاصمة مقاطعة بادوفا والمحور الاقتصادي والاتصالاتي بالمقاطعة. هي مقر لجامعة مرموقة أسست سنة 1222 م، تفتخر "بادوفا" بالعديد من الشواهد عن ماضٍ ثقافي وفني عريق، مما جعلها مقصداً للسياح من جميع أنحاء العالم. وهي اليوم مركز اقتصادي هام وأحد أهم وأكبر مراكز تبادل النقل بما فيه النهري على مستوى أوروبا، وتعد حاليا أكبر محطة في شمال إيطاليا. و"بادوفا" هي مسرح لأغلب أحداث رواية "شكسبير" "ترويض النمرة".

5. (Giotto di Bondone) المعروف باختصار جوتّو (1337-1266). رسام ومهندس معماري إيطالي. يعتبر عموما من كبار الفنانين الذين ساهموا في النهضة الإيطالية. يقال إن الرسام الإيطالي تشيمابو "Cimabue" شاهد "جوتو دي بوندوني"، وهو بعد فتى في العاشرة من عمره، يرسم الحيوانات على الحجارة في الحقول. فحمله إلى "فلورنسا" ليعلّمه الفن، وخصوصاً أفكاره الجديدة حول التصوير بطريقة طبيعية. وسرعان ما اكتسب "جوتو دي بوندوني" الحماسة نفسها التي كان يتحلّى بها معلّمه، ونقل أفكار تشيمابو بتمثيله الطبيعة عن كثب، وباستخدامه الألوان الأكثر خفة. وخلال السنوات السبعين التي عاشها أنتج "جوتو دي بوندوني" أعمالاً كثيرة، وخلّف تأثيراً كبيراً في فناني الأجيال القليلة التي جاءت من بعده، وكانوا يرسمون أعمالاً رائعة للفترة التي عُرفت بعصر النهضة.

6. (Giovanni Boccaccio) كاتب وشاعر إيطالي متميز من عصر النهضة فى القرن الرابع عشر، وهو مؤلف عدد من الكتب المهمة، أشهرها على الإطلاق "الديكاميرون". يقول بعض المؤرخين إنه ولد فى مدينة "فلورنسا"

"السوربون" الشهيرة عام 1308 وحتى 1310. وهناك من قال أيضا أنه ظل يسافر إلى أن وصل إلى "أكسفورد". إلا أنه وإحقاقا للحق وتحريا للدقة، فإنه لا دليل دامغ على صحة قيامه بالرحلات الخارجية التي تحدث عنها الكثيرون.

تولّى "هنري السابع"[1] عرش الإمبراطورية الرومانية عام 1309. وكان يتمنى أن يوحّد أوروبا تحت سلطته، وعبر جبال الألب واتّجه نحو إيطاليا، وتوّج في "ميلانو" بتاج ملوك اللومبارد الحديدي عام 1311. فتجددت أحلام "دانتي" في عودة السلام لبلده والرجوع إليها. فكان من مؤيدي فكرة الإمبراطورية العالمية ليعم السلام والسعادة بين الناس، وكتب رسالة لأمراء إيطاليا وأهلها، يحثهم فيه على قبول تلك الفكرة، ولكن دون جدوى. وقفت المدن "الإيطالية" ضد الإمبراطور، وقامت "فلورنسا" بتكوين حزب لمقاومته، وقامت بإلغاء أحكام النفي على خصومهم لتوحيد صفهم، مستثنية من ذلك أقلية منهم "دانتي" وتمكن الإمبراطور من السيطرة على "بريشا"[2]، وحثه "دانتي" على التوجه نحو "فلورنسا"، ولكن الإمبراطور سلك طريق الشاطئ حتى وصل

الإيطالية، في حين ذكر بعض آخر أنه ولد في "باريس" في حوالي عام 1313م. عاش فترة صباه متنقلًا فى إيطاليا، واستقر فترة فى "فلورنسا". والتقى فى "نابولي" "فيامِّيتًّا" ابنة حاكم "نابولي"، تلك الفتاة التي أحبها طيلة حياته، حتى بعد وفاتها بالطاعون عام 1348. وبلغ من حبه للفتاة "فيامِّيتًّا" أن ذكرها فى كل أعماله تقريبًا، وكانت الشخصية المحورية فى "الديكاميرون" أيضًا، التي قمنا بترجمتها بعد اختيارها من قبل الأستاذ/ رفعت سلام في نفس السلسلة وصدرت عن الهيئة العامة لقصور الثقافة في فبراير 2016.

1. (Henry VII) كان أول إمبراطور من بيت لوكسمبورج. خلال مسيرته الوجيزة تجددت القضية الاستعمارية في إيطاليا، والتي دمرتها النزاعات الفصائلية التي تحدثنا عنها في الصفحات السابقة.

2. (Brescia) مدينة في شمال إيطاليا، عاصمة مقاطعة "بريشا" بإقليم "لومبارديا"، تعرف بـ(Leonessa d'Italia لبؤة إيطاليا)، كما وصفها بذلك مادحًا الشاعر "جوزيه كاردوتشي".

"روما"؛ وتوّج بتاج الإمبراطورية عام 1312. وبعدها قرر التوجه نحو "فلورنسا" ومهاجمتها. ولكنها قاومته، ودافعت عن وجودها، وجمعت قوات حلف الجلف، ثم ظهر مرض وانتشر بين قواته، فرحل من غير قتال عام 1313، وذهب نحو "بيزا"، غير أنه أدركته حمى، وتوفي، ودفن بمراسم مهيبة بكاتدرائية "بيزا". وانتهت فكرة الإمبراطورية تماما، وشعر "دانتي" وقتها بخيبة أمل كبيرة وغضب شديد.

وبعد فترة سنحت له فرصة عام 1315 ليعود لبلده مرة أخرى، حين قبلت حكومتها عودة بعض المنفيين شريطة دفع غرامة مالية وطلب العفو وذلك في حفل رسمي، على أن يسير المعفو عنهم في موكب، حفاة الأقدام، إلى معمدان "سان جوفاني". ومع أنه كان يتمنى العودة للوطن الحبيب، ولقاء الأصدقاء؛ ولكن لم تسمح له كرامته قبول هذه المهانة الفجة والذل الفاحش.

بقي "دانتي" في حياة النفي والتشريد. وهو يمتطي دابة، يسير بها عبر التلال، والوديان. كان يسافر ومعه أوراقه وأغراضه القليلة. وتنقّل تارة مع بعض الأمراء وتارة أخرى مع عامة الناس، وأحيانا وحيدا، وذهب إلى شمال إيطاليا. وتنقّل هناك، ولقي أحيانا الترحاب عند الأمراء، وعمل أحيانا سكرتيرا ودبلوماسيا ومُعلّما لكسب قوته. وأحيانا أخرى فقيرا مشرّدا يجد قوت يومه بصعوبة.

عاد "دانتي" إلى "فيرونا" عام 1316 حيث استضافه "فرانتشيسكو دلا سكالا"[1]، وكان أميرا غنيا يتقرب منه الشعراء ورجال العلم. وتوطدت

1. (Francesco della Scala) كان فرانتشيسكو دلا سكالا المعرف باسم كانجراندي الأول (I. Cangrande 1291-1329). كانجراندي هو الابن الثالث لـ"ألبيرتو الأول دلا سكالا"، وأشهر أفراد أسرة "دلا سكالا" التي وطد سلطتها. معروف أيضاً بكونه صديق وحامي "دانتي". حكم "فيرونا" أولا مع أخيه الأكبر "ألبوينو" بين

العلاقة بين الأمير و"دانتي" وأهداه (الفردوس)، فكان أول من أسمعه أناشيد (الكوميديا)، ثم قام بنسخها ونشرها. كان الأمير متغطرسا في أحيان كثيرة لا يراعي شعور من حوله. ووجه بعض الكلمات والتصرفات المحرجة تجاه "دانتي" نفسه، إلى أن شعر أنه أصبح عبئا على هذا المكان وضاق به، فتركه. وبقي يتذكر القصر الذي آواه وأحسن له.

ذهب نحو حدود "رومانيا" عام1317 ودخلها وقد استدعاه أميرها "جويدو نوفيلُّو دا بولينتا"[1] في "رافنا"[2]، وكان رجلا كريما وجوادا، وكانت "رافنا" وقتها بلد ذات تاريخ عظيم، وأعطاه أميرها مكانا ليقيم فيه، وعمل هناك أستاذا وسفيرا، وكوّن "دانتي" العديد من الصداقات والطلاب هناك. علاوة على ذلك فقد أتى له ولده "بيترو" الذي عمل محاميا، و"جاكوبو" الذي تتلمذ على يده، وقدمت أسرتا الابنين، وأتت له أيضا ابنته "بياتريتشي"، التي أصبحت راهبة في دير "سان استيفانو دلا أوليفيا" في "رافنا". اعتاد "دانتي" على السير كثيرا في غابة "رافنا"، وكذا على شاطئ "الأدرياتيك"، وسماع صوت الرياح، وصفق الأمواج والتأمل.

عامي 1308 و1311 ثم بمفرده من 1311 حتى وفاته. كان عسكرياً ماهراً فحسب، إنما أيضاً سياسياً حاذقاً وإدارياً فطناً وراعي فنون سخي. ذكره أ. د. حسن عثمان في ترجمته للكوميديا الإلهية باسم "جراندي دلا سكالا"، بيد أن اسمه كاملا "فرانتشيسكو دلا سكالا" وعرف فيما بعد باسم "كانجراندي الأول" وليس "جراندي" فقط.

1. (Guido Novello da Polenta)(1275-1333) شاعر وأمير "رافنا" وساعد "دانتي" كثيرا ومنحه عملا يعيش منه كما هو موضه أعلاه.

2. (Ravenna) مدينة إيطالية بإقليم "إميليا رومانيا"، عاصمة مقاطعة "رافنا"، والمدينة الأكبر والأهم تاريخياً بمنطقة رومانيا. أراضيها البلدية هي الثانية من حيث المساحة في إيطاليا حاليا، ولا يتجاوزها في ذلك سوى روما. كانت "رافنا" عاصمة ثلاث مرات.

وذات يوم حدث عراك بين تاجر من "رافنا" وسفينة من "البندقية"، قتل فيها قبطان السفينة وبعض ممن معه. ونتج عن هذا قطع البندقية علاقاتها السياسية بـ"رافنا"، وهددت بتكوين حلف ضدها والحرب عليها. فبعث "جويدو نوفاو" سفيره "دانتي" إلى "البندقية" لحل تلك القضية وتسوية الخلافات. ونجح في تهدئة الوضع بين "البندقية" و"رافنا"، ووضع أساسا للمفاوضات بين الطرفين. وعاد "دانتي" ومن معه بطريق البر، وعبروا مكان به مستنقعات، فأصيب "دانتي" بالملاريا، ووصل "رافنا" مريضا، ولم يتحمل المرض وتوفي في يوم 13 أو 14 ستمبر 1321. ومات "دانتي" ويداه فوق صدره، وعينه مغلقة. فكان مثل النائم. وهكذا أسدل الستار عن حياة "دانتي" العظيم. ودفن فيها بعد أن تم طرده من موطنه الأصلي "فلورنسا". وقد نُقش على تابوته: "ليست "فلورنسا"، وإنما أهواء السياسة هي التي حكمت عليه بالنفي الدائم".

ولم يعرف أبناء "دانتي" ولا كل من أحبوه النوم في تلك الليلة، وأعلن "جويدو نوفلو" الحداد العام، وألقى رثاء مؤثرا على الشاعر الكبير. وحمل جثمانه كبار رجال "رافنا".

يحكي "بوكاتشو" قصة لا نعلم مدى صدقها، إذ يقول إن الجزء الخاص بـ"الفردوس"، بقي شهور عديدة بعد وفاة "دانتي" ينقص منه الأناشيد الثلاثة عشر الأخيرة. بقي أبناؤه يبحثون عنهم. واعتقد بعضهم أن "دانتي" لم يكمل "الكوميديا" وفكّر أبناؤه في تكملتها. وبعد عدة شهور ظهر "دانتي" في الحلم لابنه "جاكوبو" وأخبره بمكان باقي القصائد في حائط بمنزل يسكنه "جاردينو" ووجدوها هناك، وهكذا اكتملت الكوميديا"! كما يحكي لنا "جوفاني بوكاتشو".

وبعد قرابة نصف قرن من موت "دانتي" شعرت "فلورنسا"، أنها أخطأت بحقه. ففكروا في التكفير عن خطيئتهم، فطلبت من "جوفاني بوكاتشو" ثم من "بيترو" ابن "دانتي" بتدريس "الكوميديا" للجمهور. فاشتهرت تدريجيا بين الناس، في كل أرجاء إيطاليا، ودُرّست بأماكن عدة. وهكذا عرفها الناس وأحبوها، وجرت على ألسنتهم وتغنوا بها. وقد حاولت "فلورنسا" نقل رفات الشاعر لوطنه. غير أن "رافنا" عارضت هذا بقوة، وقامت "فلورنسا" بجهود مستمرة في هذا الأمر وصلت إلى تدخل البابا "ليو العاشر الديتشي" في بداية القرن السادس عشر. ولم تتمكن "رافنا" من رفض طلب البابا، وحين تم فتح التابوت لم يجدوا غير بعض العظام.

لكن في عام 1865 أثناء فترة الاحتفال بميلاد "دانتي" الستمائة، جرت إصلاحات في كنيسة "براتشافورتي"، ووجدوا حينها تابوت خشبي داخل الحائط، وكتب عليه أن الأب "أنطونيو سانتي" أخفاه عام 1677، وكان بداخله هيكل عظمي، وافق قياس جمجمته قناع الموت لـ"دانتي"، واتفقت بقايا العظم التي وجدت في عهد "ليو" العاشر مع الهيكل المكتشف. والذي يمكن تفسيره بقيام أحد الكهان بإخفائه حين طلبه البابا، ثم وضعه الأب "سانتي" عام 1677 في المكان الذي وجدوه فيه. ووضعوا بقايا رفاته في تابوت، ثم نقل في حفل مهيب إلى كنيسة "براتشافورتي". أقامت له "رافنا" برجا تذكاريا به ناقوس، وقد حضره مندوبين عن "فلورنسا"، وأقاموا له في "فلورنسا" قبرا رمزيا في كنيسة "سانتا كروتشي"، أقامه "ريتشي" عام 1829 ضم تمثالًا لـ"دانتي" وهو جالس ومتوَّج بإكليل من الغار، وقد نُقش في أسفله عبارة: "مجدوا الشاعر العظيم".

يصف "بوكاتشو" "دانتي": كان ذو وجه طويل وجبهته عريضة وأنفه طويلة، وعيناه واسعتان، وذقنه مدبب، وكانت شفته السفلى أبرز من العليا، شعره أسود، أسمر اللون، متوسط القامة، وكان يمشي في إتزان ووقار، وثيابه نظيفة ولائقة، وإن مزقت وقت الضيق أصلحها بنفسه. وكان يحب الطعام الطيب ومع هذا كان يرضى بالقليل. لا يتحدث كثيرا، فكان يقدر الكلمة، وغالبا ما كان يسأله الناس فيرد عليهم بأدب ورقة. وأوقات أخرى بطلاقة وفصاحة.

وكان ذو شخصية متنوعة الجوانب، فكان يدرس، ويغني، ويعزف، ويرسم، ويلقي الشعر، ويشتغل بالسياسة، ويجمع بين الاستمتاع بالحياة والزهد بها، أوقات خجول وأوقات جريء لا يخشى أحدا. يبدو صارم المظهر جاد الملامح، يبدو شامخا وأيضا هادئا متواضعا. كان يظل يقرأ طويلا، وإن تعب خرج صوب الطبيعة، يمشي فيها ويتأمل الكون الفسيح، ويأكل الفاكهة الناضجة، ويقطف الأزهار الجميلة، فكان بداخله عنصر من كل شيء. فجعل مشاعره مختلفة عن بقية أقرانه.

كان الحب لـ"دانتي" هو الحياة نفسها. وكان أهم حب لديه هو حب "بياتريتشي". وكانت له في حياة المنفى تشبه نجمة الصبح في صحراء الحياة. فكانت هي مصدر إلهامه وإبداعه وكانت من منظوره هي امرأة متكاملة. كان حبه لها يطهره، وتجعل منه عابد متصوف عاشق لله.

حزن "دانتي" لموتها وبكى لفراقها، ومع هذا فقد كان في حاجة للحب. فأحب بعدها "جنتوكا" العذراء الصغيرة الجميلة. وأحب "فيوليتا" وأحب "ليزيتا" القوية الواثقة من نفسها. وأحب "بيترا" المرأة الصخرة. فكان يعشق الجمال، ويسمع لدقات قلبه.

كان مرهف المشاعر، شديد التأثر فكان يبكي حتى يغمى عليه. بكى

حين أحب "بياتريتشي"، وبكى حين فقدها. وأيضا حين تقدم عمره ظل يبكي، بكى حين أهين شرفه، وحين جاع وطلب المأوى، وحين كتب "الكوميديا". وبكى حين شارك المعذبين آلامهم في "الجحيم". وبكى حين عاتبته "بياتريتشي" في "المطهر". ولكن ما أصعب بكاء رجل ذي كبرياء!

كان "دانتي" معتزا بنفسه لدرجة كبيرة، وارتفعت درجة اعتزازه بنفسه لدرجة أنه لا يجد في الناس ما يحسدهم عليه، وكأنه يقول لمن أساءوا له: إنكم لا تريدوني ولا تقدرون قدري. ومع هذا سوف يأتي يوم تندمون على ما قلتم وفكرتم فيه بشأني، وسأفعل ما لا يمكنكم فعله. كان يقول عن نفسه إنه نابغة ذلك الزمان، وإن أسلوبه الجميل يضعه في مستوى "هوميروس" و"فيرجيليو"، وإنه يتشرف بحياة المنفى. كان يتمنى أن تتوجه "فلورنسا" بتاج الشعراء. شعر أنه أعلى من الملوك والباباوات الذين لا يقومون بواجبهم. وأعجب بوجهة نظر "أرسطو" القائلة بسيادة من له تفوق عقلي.

نجده ينتقد المجتمع الذي كان يعيش فيه، فيقول إن أغلب تصرفات الناس تؤدي إلى انهيار المجتمع. فكان يرى المبشرين كالحيوانات، والقساوسة يملئون بطونهم، والبابا مرتشي. والإيطاليين لصوص، والفرنسيين متكبيون والأسبان بخلاء...إلخ. ومع كل هذا ليس من الإنصاف أن نراه متشائما، فلم يكن تشاؤمه يأسا، ولكنه حافزا ودافعا قويا على التغيير. حاول بطريقته إصلاح المجتمع متخذا من الشعر والفن الرفيع طريقا للوصول إلى مراده النبيل. كان شعوره بالغضب يحدد جانبا هاما من جوانب شخصيته الثرية. ومع هذا لم يقْسُ على أحد في حياته، ولكنه استخدم هذا الشعور في كتاباته في العديد من

المواطن. ومن المشاعر الأخرى التي يلاحظ سطوتها في شخصيته حب الانتقام، وإن لم يقم بهذا أيضا في حياته، لكنه تناوله بشرف وعزة نفس، وتكلم عنه في "الجحيم"، تحديدا عن الانتقام الإلهي. وكذا في "المطهر" حين طلب من امرأة الثأر لمقتل ولدها.

علاوة على كل ما سلف، كانت مشاعر الأبوة والبنوة جزءا من شخصية "دانتي". فقد "دانتي" عطف الأمومة والأبوة في سن مبكرة. وعاش حياة الأسرة، وعاش في المنفى بعيد عن أبنائه. وقد عوضه "فيرجيليو" قدرا من مشاعر حنان الأب الذي لم يلقاه خلال حياته.

كان "دانتي" شجاعا خلال حياته. وعارض سياسة البابا "بونيفاتشو الثامن"[1] وحاول الدفاع عن مصالح "فلورنسا". ووقف في وجهه مع أنه لم يكن هناك تساوي بين الاثنين. فوقف البابا غاضبا متكبرا، ووقف "دانتي" شجاعا لا يهاب. فكان "بونيفاتشو" قويا بمكانته وسلطانه، ومعه الأمراء والنبلاء. وفي حين "دانتي" ليس عنده ثروة ولا سلطان. احتفظ كل منهما بصفات موطنه الذي قدم منه. فكان "بونيفاتشو" جافا غليظا ومتعصبا كما ساد في "رومانيا"، أما "دانتي" فكان رجل الثقافة والأدب والذوق والفن كما ساد في "فلورنسا". وكذلك اختلف مظهرهما. كان "بونيفاتشو" طويل القامة، بينما كان "دانتي" متوسط القامة نحيفا: واتُّهم الاثنان بالرشوة، مع أن "بونيفاتشو" هو من كان

1. البابا بونيفاتشو الثامن بالإيطالية "Bonifacio VIII." وباللاتينية "Bonifacius VIII" (1230-1303) هو بابا الكنيسة الكاثوليكية ابتداء من 1294. ولد حوالي سنة 1235 في أنانيي "Anagni" جنوب شرق روما، وحمل عند ولادته اسم بنيديتو جيتاني "Benedetto Gaetani" أو بنيدتو كيتاني "Benedetto Caetani". أشهر ما بقي عنه هو عداوته مع "دانتي"، التي دفعت الأخير إلى وضعه في الحلقة الثامنة من "الجحيم" في "الكوميديا الإلهية"، أي أولئك الذين نالوا درجة كهنوتية دون استحقاق عن طريق الرشوة. أسس "بونيفاتشو الثامن" جامعة روما سابينتسا "Universitá di Sapienza" وتعني في العربية "جامعة الحكمة" في 1303.

المرتشي. ولم يتوقع البابا أن "دانتي" سيضعه في "الجحيم". وهكذا وقف "دانتي" أمام "بونيفاتشو" بعزيمة وشجاعة. دفع ثمنها بالنفي ثم حصل على المجد والشهرة لاحقا.
وطنية "دانتي" وحبه "لإيطاليا" كانت أمرا لا شك فيه، ولم يحب "دانتي" مكانا كما أحب "فلورنسا". فهي وطنه والمدينة الخالدة على نهر "الأرنو" العذب. ومع هذا تحدث عنها بعنف، وقال إنها غابة حزينة، وحكومتها سيئة متذبذبة، وحين لم يحالف "هنري السابع" الحظ ولم يتمكن من دخولها زاد غضبه، ولم يمدح أي مكان بإيطاليا فكل مكان فتح جرحا في جسده.
ومع كل هذا لم يكره وطنه مع شدة تألمه، ولكنه كره كثرة المساوئ والأخطاء. فكان حبه يمنعه من الوقوف أمام أخطائها متفرجا صامتا، وأحزنه ما كان فيها من فوضى وتمزق. خاطبها "دانتي" بلفظ إيطاليا، وربما كان من فهم معنى وحدة أراضيها، وصفها بسفينة بلا شراع في قلب العاصفة، واتجه "دانتي" إلى الله طالبا العفو، متسائلا ماذا يحمل لها الزمن من غيبيات! وأعطى لموطنه حلما مستمدا من الواقع وعكسه، ومن الماضي والحاضر والمستقبل، كانت كلماته هي الملهمة للإيطاليين في القرن التاسع عشر.
ومع كل تلك الآلام و الأحزان التي عاشها، والهموم التي حملها في طيات قلبه، عرف "دانتي" وسط هذا كله كيف يبتسم ويضحك، وكيف يحمل غيره على الضحك. وكان يبتسم حين يسمع حديث بعض الناس عنه في "فيرونا". كان يقابل السخرية بالسخرية، حتى أنه سخر في "جهنم" من "فلورنسا" ذاتها. ومن "فيرجيليو" ومن نفسه، ووصف خوفه وتردده وخجله بسخرية فريدة.

لم يحرص "دانتي" يوما على تكوين ثروة وجمع الأموال، ومع أنه لم يكن من أسرة فقيرة، إلا أن أسرته كانت محدودة الموارد. وكان عدم غناه سبب عدم قدرته على الزواج من "بياتريتشي" والتي كانت من أسرة ثرية. كان أبوه مرابيا، لهذا كان بعض الناس يعيرونه بالعيش من مال غيره، مما زاده عزوفا عن المال. وحين تولى الوظائف وقام بالسفارات لم تكن تكفيه أموال الحكومة، فكان ينفق من ماله، وأحيانا يستدين ليغطي النفقات الأساسية. لذا كان ما تم اتهامه به غريبا للغاية، فقد اعتبروه مرتشيا ومستغلا لوظيفته، فنال النفي وحكم عليه بالموت!
وما أصعب على الرجل الأمين أن يتهم بالسرقة! ورغم ما عاناه وقت النفي إلا أنه لم يحرص على جمع المال، وكان يكتفي بما يقضي حاجاته الأساسية. فقد كان موقنا أن المال لا يساوي راحة النفس.
سرعان ما شعر "دانتي" بالوحدة. لم يعش طويلا وسط والديه فقد توفيا مبكرا، ولم تع "بياتريتشي" قيمة "دانتي". ولم يكن له صديق حقيقي، ويذكر أنه كان له أخ غير شقيق يدعى "فرانتشيسكو" كان يساعده أحيانا، ولم تستمر حياته الأسرية طويلا. اقترب منه أبناؤه في نهاية حياته، وشعر "دانتي" أن البشر يسعون وراء مصالحهم، وخلت قلوبهم من الصفاء والإخلاص لوطنهم، وبرغم ما لقاه في المنفى، فقد أحسن له بعض الأمراء، وأصبح له أصدقاء ومحبين. ومع هذا لم يفهمه أحد حق الفهم. وقلائل جدا من كانوا أصدقاء حقيقيين له.
لم يكن "دانتي" متكبرا. ولكنه أحب الناس بطريقته، وكره عيوبهم، ومع هذا فقد فعل ما بوسعه لمساعدتهم. لكن، هل تمكن "دانتي" أن يدفع أهله وأبناءه لما كان يأمل، من الذوق وسعة الأفق والكياسة والسلوك؟ وكم شارك الناس حزنهم وأحلامهم، في حين لم يشعر أحد بما عاناه!

وكم اتهمه الناس بما ليس فيه، وكم حاول بعضهم إهانته وإذلاله! ومع كل ذلك لم يذكر التاريخ أن "دانتي" أذلّ أحدا! وكم شعر بكذب من حوله مع أنه لم يكذب أو يخدع أحدا قط! وكم تعجب "دانتي" حين سمع أحكام الناس على الناس، وكم يدعون العلم والفهم دون غيرهم، وكأنهم هم فقط أصحاب الرأي الراجح!

سعى "دانتي" لإبعاد الناس عن صغائر الأمور، وزرع المعرفة والحكمة والأمل، دون يأس. وإن كان يائس من قومه، ولكنه كان يجد الأمل في البشرية. وسجل مشاعره تلك في تراثه الذي تركه للعالم، ليفهمها البشر من بعده. فكانت "الكوميديا" التي بين أيدينا بمثابة المحاوله لجمع جميع أطياف البشر، المتباينة، بين الواقع والغيبيات، نسجها بتناغم ليحقق الهدف السامي!

ولذا بقي وحيدا حتى وإن كان وسط الناس، فكان يتغلغل لنفوسهم ويدرك ما بداخلها، من دون أن يتحد معهم أو يتحد به البشر، وربما على خلاف ما كان يطمح.

وعى أنه لا لوم على أحد، ولا على "دانتي" ذاته. وفي هذه الحياة التي عاشها، فذاك هو الثمن الذي يتكبده العباقرة، حتى يصلون إلى ما يرجون. لقد فهمه الناس ولكن بعد فوات الأوان، وكان الأقرب له في زمنه هو "مايكل أنجلو بونارُّوتي"[1]، الذي أحبه، وكان يود بناء قبرا

1. (Michelangelo Buonarroti) رسام ونحات ومهندس وشاعر إيطالي كان لإنجازاته الفنية الأثر الأكبر على محور الفنون ضمن عصره وخلال المراحل الفنية الأوروبية اللاحقة. اعتبر "مايكل أنجلو" أن جسد الإنسان العاري الموضوع الأساسي بالفن مما دفعه لدراسة أوضاع الجسد وتحركاته ضمن البيئات المختلفة. حتى أن جميع فنونه المعمارية كانت ولابد أن تحتوي على شكل إنساني من خلال نافذة، جدار أو باب. سواء كان تحدي جسدي أو عقلي كان مايكل أنجلو يبحث دائما عن التحدي وأغلب المواضيع التي كان يعمل بها كانت تستلزم جهدًا بالغاً سواء كانت عبارة عن لوحات جصية أو لوحات فنية كان مايكل يختار الوضعيات

له من الرخام، حينما كانت هناك محاولة لنقل رفاته لـ"فلورنسا"، ولم يتمكن.

وبرغم ذلك، فقد بقي "دانتي" صامدا منتصرا على الإنسان الغادر وعلى الزمان القاسي! كان "دانتي" ثروة إنسانية، فقد مهد للخروج من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، فلقد كان "دانتي" ينشر العلم، ويهذب النفس، ويرتقي بالروح، ويؤيد العدالة والحرية، ويدعم الصفاء والأمل، وصنع نوعا من الفن الرائع لم يضاهيه أحد.

تلك نواحي من حياة "دانتي" وصفاته، لتساعدنا في فهم عقليته الفذة، وتقدير العقلية، والتعلم منه. كل هذا فيما يتعلق بالأدب والخبرات الحياتية والوطنية، لكن فيما يتعلق بنظرته للإسلام فالأمر شديد الاختلاف، وستكون لنا معه وقفة في هذه المقدمة.

فكرة الكوميديا الإلهية: تحكي (الكوميديا) قصه صعود "دانتي" إلى السماء بدءا من الغابة الموحشة، والكلام عن الله وخلقه للبشر والكواكب، والكاتب فيها تحدث عن عدد من النساء اللواتي تحدثن معه ونصحوه، ويرافقه أحيانا "أوفيديوس" الشاعر اللاتيني، الذي أوضح له الكثير عن الحب وعن أخطاره. وكان له المعلم والمرشد الذي يسير على خطاه، والذي حثه لدراسة التراث اللاتيني إنه "فيرجيليو"،

الأصعب للرسم إضافة لذلك كان دائما ما يخلق عدة معاني من لوحته من خلال دمج الطبقات المختلفة في صورة واحدة وأغلب معانيه كان يستقيها من الأساطير، الدين ومواضيع أخرى. نجاحه في قهر العقبات التي وضعها لنفسه في صنع تحفه كان مذهلا إلا أنه كثيرا ما كان يترك أعماله دون إنجاز وكأنه يُهزم بطموحهِ نفسه. اثنان من أعظم أعماله النحتية، تمثال داوود وتمثال "بيتا". رغم كون "مايكل أنجلو" من الفنانين شديدي التدين فقد عبر عن أفكاره الشخصية فقط من خلال أعماله الأخيرة. فقد كانت أعماله الأخيرة من وحي واستلهام الديانة المسيحية مثل صلب السيد المسيح.

ومن أصدقائه بداخل "فلورنسا" "جويدو كافالكانتي"[1] وقد كتب شعرا عذبا عن الحب، يتمشى مع مدرسة الشعر الحديث. ولقد ساعد "دانتي" لمعرفه أسرار الشعر.

لم يكن "دانتي" بطبيعة الحال أول من تحدث عما بعد الموت والحياة الأخرى. فقد تحدث البشر منذ القدم عن هذا الأمر. فنجد المصريين القدماء قد عرفوا في عقيدتهم النار المظلمة وما بها من عذاب، وتصور الجنة وما بها من درجات النعيم. ونجد في "الكتاب المقدس" إشارات متعددة متنوعة عن الحياة الثانية. ونرى الرؤيا في آخر "العهد الجديد"، التي تعود إلى أواخر القرن الأول الميلادي، وتعود إلى القديس "يوحنا الإنجيلي"، نجد بها ألام المعذبين بذنوبهم بين الوحوش والحيوانات الخرافية. وهناك رؤيا القديس "بولس"، ووصفت المعذبين بأنهم وسط الأفاعي والنيران، وسجلت مرور السعداء الذاهبين إلى الفردوس. وكذا رؤيا "المطهر" للقديس "باتريك" في القرن الخامس، التي زار فيها الجحيم ورأى الأفاعي والوحوش والنيران، وكذا رحلة القديس "براندان"[2] في القرن السادس الذي كان بسفينة مع بعض الملعونين،

1. شاعر إيطالي معاصر لـ"دانتي" وصديق له، نظم كثيراً من الأشعار، أعذبها وأفضلها "أناشيد الحب". تدخل في حرب "فلورنسا"، ونفي ومات صغير السن.

2. برندان ويسمى أيضا براندون أو براندان (حوالي 484–578) قديس أيرلندي وبطل رحلة أسطورية في المحيط الأطلسي، ويقال إنه ولد في "ترالي" في مقاطعة كيري في العام 484. وصيغة الاسم الأيرلندية هي بريناين "Brennain"، واللاتينية برندانوس "Brendanus" والمؤرخون من العصور الوسطى يعرفونه باسم "برندان دي كلونفيرت"، أو "برندان دي فينجولا"، وذلك لكي يميزوه عن معاصره "سانت بندان دي بير" الذي مات عام 573. وقصة رحلته أنه رحل عبر الأطلسي نحو الأرض الموعودة للقديسين والتي سميت بعدها جزيرة "القديس برندان". وهي موجودة في حكايات شعرية أو قصائد في لغات عديدة منها اللاتينية والفرنسية والإنكليزية والفلمنكية والأيرلندية والويلزية والبريتونية والاسكتلندية. رغم أن القصة لم يعثر عليها عند أي من كتب الجغرافيين العرب، فإن أحداثا منها موجودة في التراث العربي كنزولهم على ظهر فيل

وقد شهد "يهوذا" فوق صخرة في المحيط. وأيضا رحلة الجندي الراهب "توندال" في القرن الثاني عشر، وشاهد عذاب النار والزمهرير، ونهر الكبريت، كما رأى المنعمين في الجنة، والملائكة في السماء. وقد تُرجمت تلك الرحلات في القرن الثاني عشر الميلادي.

وغير هذا وجد في إيطاليا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، مجموعة كتب وصفت حياة ما بعد الموت، مثل كتاب الراهب "يواكيمو دا فلورا"، الذي رأى نهر الكبريت المحترق يعلوه جسر يقود إلى حديقة الفردوس. وكذلك تناول القديس "توما الأكويني"[1] الجحيم والمطهر والسماء، ووفّق في هذا بين المسيحية وفلسفة "أرسطو".

فضلا عن هذا كله، فإن التراث الإسلامي به العديد من المواضع التي تتحدث عن الحياة الآخرة. فقد تحدث القرآن الكريم وكتب الحديث والتفسير، وكذا فقهاء الإسلام، والمتصوفون، وقدموا نماذجا متنوعة في هذا الجانب. وتحدثوا عن ظلمات النار، وعذاب المذنبين بالنار،

ظنا منهم أنها جزيرة وهو ما حصل مع السندباد على سبيل المثال. وكثير من الأحداث الخيالية استقيت كما يبدو من مالدوين وهي ملحمة أيرلندية قديمة، وقصص أخرى تنتمي الميثولوجيا الإسكندنافية، وأقدم نسخة بقيت من الحكاية تعود للقرن الحادي عشر وتدعى نافيجاتيو بريندانى "Navigatio Brendani".

1. (Tommaso d'Aquino) قسيس وقديس كاثوليكي إيطالي من الرهبانية الدومينيكانية، وفيلسوف ولاهوتي مؤثر ضمن تقليد الفلسفة المدرسية. أحد معلمي الكنيسة الثلاثة والثلاثين، ويعرف بالعالم الملائكي (Doctor Angelicus) والعالم المحيط (Doctor Universalis). عادة ما يُشار إليه باسم "توما"، و"الأكويني" نسبته إلى محل إقامته في أكوين. كان أحد الشخصيات المؤثرة في مذهب اللاهوت الطبيعي، وهو أبو المدرسة التوماوية في الفلسفة واللاهوت. تأثيره واسع على الفلسفة الغربية، وكثيرٌ من أفكار الفلسفة الغربية الحديثة إما ثورة ضد أفكاره أو اتفاقٌ معها، خصوصاً في مسائل الأخلاق والقانون الطبيعي ونظرية السياسة. يعتبر "الأكويني" المدرس المثالي لمن يدرسون ليكونوا قساوسة في الكنيسة الكاثوليكية. ويُعرف بعمليه خلاصة اللاهوت والخلق والخالق. يعتبره العديد من المسيحيين فيلسوف الكنيسة الأعظم لذلك تُسمى باسمه العديد من المؤسسات التعليمية. ذكره أ. د. حسن عثمان في ترجمته باسم "توماس الأكويني"، على الرغم من أنه معروف في الكتابات العربية باسم "توما الأكويني فقط"، وبالإيطالية "توماسو دي أكويني".

والأفاعي واللهب، والرياح العاتية، كما تناولت أيضا الحديث عن الصراط، والبرزخ، والتطهر، والتوبة والعروج للسماوات السبع، والنور الإلهي، والفردوس بالإضافة إلى رحلة الإسراء والمعراج التي قام بها الرسول الكريم.

انتقل التراث الإسلامي وعالم ما بعد الحياة الدنيا إلى أوروبا عن طريق الحضارة الإسلامية في "الأندلس"، وعبر صقلية وجنوب إيطاليا. فقد درس هناك بعض الرهبان اللغة والثقافة العربية. وقد علموا أراء الإسلام في القرن التاسع الميلادي. ودرست أقوال المسلمين في هذا الشأن، وتحديدا آراء ابن رشد وابن سينا. وتم ترجمة معاني القرآن الكريم ملخصا إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر. وبقيت الصور تتواتر في كتابات الأدباء والعلماء حتى نهاية القرن الخامس عشر. ومنها قصيدة "فاتسيو دلي أوبرتي"[1] بإيطاليا عن معراج النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وما دوّنه الأب "روبرتو كاراتشولو"[2] عن ذلك بالإيطالية في نهاية القرن الخامس عشر.

وأخيرا فقد بحث بعض المستشرقين العلاقة بين "كوميديا" "دانتي" والتراث الإسلامي. ومنهم "ميجيل آسين بلاثيوس"[3] الذي وضع سنة 1919

1. (Fazio degli Uberti) شاعر إيطالي فلورنسي شهير ولد في عام 1305 أو في 1309، وتوفى في 1367.

2. (Roberto Carcciolo) (1425-1495) راهب إيطالي من أشهر الرهبان في زمانه.

3. (1871-1944) (Miguel Asín Palacios) هو مستشرق وقس كاثوليكي إسباني. من مؤلفاته كتاب "علم الأخرويات الإسلامي في الكوميديا الإلهية" (1919، بالإسبانية: La Escatología musulmana en la Divina Comedia)، الذي ألقى فيه الضوء على المصادر الإسلامية للأفكار والدوال الموجودة في الكوميديا الإلهية لـ"دانتي". كتب "بلاثيوس" الكثير من المؤلفات عن الإسلام في العصور الوسطى، وعني بمحيي الدين بن عربي عناية شديدة، فنشر عنه سلسلة دراسات منوعة، من أبرزها كتابه "الإسلام المتمسح" (1931، بالإسبانية: El Islam cristianizado)، وهو دراسة في التصوف الإسلامي من خلال أعمال ابن عربي. كما عني بدراسة أبي حامد الغزالي، وله مقالات عن التأثيرات الإسلامية على المسيحية والتصوف المسيحي في إسبانيا.

كتابا بالإسبانية يتحدث عن العلم الإسلامي لما بعد الحياة في الكوميديا الإلهية، وقد ترجم إلى الإنجليزية، وقد درس هذا الموضوع خلال عشرين عاما، وقارن بين "كوميديا دانتي" ومؤلفات بعض المتصوفين أمثال محي الدين بن عربي، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وتحدث عن أوجه الشبة بينهما وبين ما كتب "دانتي".

نشر المستشرق الإيطالي "إنريكو تشيرولي"[1]، في 1949. كتابا بعنوان "كتاب المعراج ومسألة المصادر العربية الإسبانية للكوميديا الإلهية". ونشر "تشيرولي" في كتابه الترجمة اللاتينية والفرنسية القديمة، لإحدى صور المعراج الإسلامي. وتلخص قصة هذه الترجمة في أن "ألفونسو العاشر" ملك "قشتالة" أمر بترجمة هذه الصورة من صور المعراج الإسلامي من العربية إلى القشتالية. وقام بالترجمة إبراهيم الحكيم الطبيب اليهودي سنة 1264. ثم ترجمت إلى اللاتينية والفرنسية القديمة، في نفس العام، ولهذا فهو مؤيد إلى أنه من الممكن أن نُقلت إلى بعض المعلومات عن المعراج الإسلامي "دانتي".

من المحتمل أن يكون "دانتي" قرأ الترجمة اللاتينية والفرنسية للمعراج الإسلامي وقتها، ولا يستبعد أنه سمع بعض الرهبان الذين عرفوا رأي

وتدين الثقافة العربية الإسلامية لـ"ميجيل آسين بلاثيوس" بالكثير، فهو الذي قدم ابحاثا هامة عن ابن عربي والغزالي وابن حزم، ودرس قبل ذلك آثار فلسفة الأندلسي "ابن مسرة" على "روجر بيكون" و"ريموند لولي" وجمع لاحقا جميع ابحاثه المتعلقة بتأثير الاسلام في أوروبا ومنها بحث "دانتي" في كتاب (تأثيرات الاسلام) الذي صدر عام 1941 في السنة التي مات فيها ذلك المستشرق الكبير والمؤثر.

1. (Enrico Cerulli) مستشرق وباحث ودبلوماسي إيطالي، له العديد من الدراسات حول الصومال ومنطقة الحبشة والإسلام. في 1940-1939 كان أيضا حاكما على هراري في شرق إفريقيا، أثناء الاحتلال الإيطالي.أشهر كتبه الإسلام في الأمس واليوم "L'Islam di ieri e di oggi" وصدر في عام 1971 عن معهد الشرق في إيطاليا "Istituto per l'Oriente".

الإسلام في الحياة ما بعد الموت. واقترب في تصوره ببعض الآيات القرآنية، وبعض أفكار المتصوفين كابن عربي، عن بعض صور "الجحيم والمطهر والفردوس". ولا عجب أن "دانتي" المتطلع المثقف قد اطلع على العديد من المصادر. ومن المؤكد أن "دانتي" قد دوّن كل ما اطّلع عليه واستفاد منه، فاقتبس من هنا وهناك، وأثّر فيه كل ما وصل له، وقام بصباغته على طريقته، فغيّر، وأضاف، ونظم الكلمات، ليخرج لنا "الكوميديا". والحقيقة هنا أن قضية تأثر "دانتي" بالثقافة الإسلامية طرحت للمرة الأولى سنة 1901 من قبل عالم فرنسي متخصص بالثقافة الفارسية هو "بلوشيه" الذي أعدّ آنذاك بحثا عن المصادر الشرقية للكوميديا الالهية، ثم جاءت الإضافة الأساسية والمعمقة من "ميجيل آسين بلاثيوس" الذي كان بحثه المعنون "الآخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية" المقدم للأكاديمية الملكية الإسبانية عام 1919 بمثابة قنبلة علمية هزت الأوساط الأكاديمية الأوروبية ووضعت الكرة، كما يقولون في لغة التبسيط السياسي، في ملعب الإيطاليين على اعتبار أن التأثير الإسلامي وصل لدانتي عن طريق جامعتي بولونيا وبادوا أو بادوفا في شمال إيطاليا.

وعلى أية حال، فإن التأثير الإسلامي على "الكوميديا الإلهية" مثبت — كما يقول أ. محيي الدين اللاذقاني في مقالة له بعنوان "دانتي وميناء الجحيم" في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 23 ديسمبر 2001 — وأول من كشف عنه هم الغربيون، وليس نحن، والتأثير ليس في كتاب واحد إنما في ثقافة بكاملها، فالثقافة الأوروبية في القرون الوسطى كانت تقف من ثقافتنا موقفنا الحالي من الحضارة الغربية، وتحاول أن تتعلم منها علميا وثقافيا بوصفها آنذاك الحضارة الأقوى، فالحضارات الغالبة

تغري بالتقليد، وتجعل أبناء الحضارات الأقل شأنا ينبهرون بما فيها وما عندها.

واستكمالا للمصادر التي ربما تكون قد ألهمت وساعدت "دانتي" في عمل الكوميديا الإلهية، يشير في هذا السياق — لكن بشكل مغاير ينفي تأثر "دانتي" برسالة الغفران وإنما بكتابات أخرى — الأستاذ إلياس سعد غالي[1] إلى بعض اقتباسات الكوميديا من رؤيا "يوحنا" ممَّا يكفي للدلالة دلالة واضحة على اعتماد "دانتي" عليها. وحَسْبُنا في هذا المقام أيضا، تأييدًا لهذا الرأي، الإشارة إلى أن "دانتي"، بعد ما تكشَّفتْ له الحقائق عندما قاربت رحلتُه على النهاية، امتحنه كلٌّ من بطرس ويعقوب ويوحنا في أركان العقيدة المسيحية: الإيمان والرجاء والمحبة؛ وأن "دانتي" قد أجاب عن سؤال "يوحنا" له في جوهر حبِّ الأشياء الأبدية إجابةً تدلُّ، بأجلى بيان، على معرفة "دانتي" رؤيا "يوحنا" وتشبُّعه منها. ونجد أن إلياس سعد غالي تصدى لآراء جميع من تناولوا موضوع تأثر دانتي بأبي العلاء ومنهم قسطاكي الحمصي[2]، والدكتور

1. ولد في دمشق 1908. عمل مترجمًا محلفاً في المحاكم، وأمين مكتبة وزارة العدل، نشر أعماله الأدبية في جريدة الأيام سنة 1939. من مؤلفاته: قبسات من التراث الإنساني (1983)، رسالة الغفران والكوميديا الإلهية (1988).

2. قسطاكي بن يوسف بن بطرس بن يوسف بن ميخائيل الحمصي (1941-1858) شاعر، من الكتاب النقاد. من أهل حلب، مولداً ووفاة. أصله من حمص، هاجر أحد جدوده (الخوري إبراهيم مسعد) إلى حلب في النصف الأول من القرن السادس عشر للميلاد، ولزمته النسبة إلى حمص كما لزمت سلالته. تعلم قسطاكي في أحد كتاتيب الروم الكاثوليك ثم بمدرسة الرهبان الفرنسيسكان ولم يمكث في هذه أكثر من 15 شهراً، وانصرف إلى التجارة. وجمع ثروة كبيرة. وقرأ علوم العربية على بعض المعلمين في أوقات فراغه. وزار مرسيليا وباريس مرات عكف في خلالها على درس اللغة الفرنسية فأحسنها، وقرأ كثيراً من أدب العربية، قال عن نفسه في رسالة بعث بها إلى الزركلي: "كان لا يطالع غير كتب الفصحاء، حتى صار يأبى قراءة كتب غيرهم أشد الإباء". وترك التجارة سنة 1905، فأكثر من الرحلات إلى فرنسا وإنجلترا وإيطاليا والقسطنطينية ومصر.

عمر فروخ[1] وغيرهما، وأكد في كتابه (رسالة الغفران والكوميديا الإلهية) الذي صدر عن اتحاد الكتاب العرب عام 1988 أن فكرة الرحلة إلى الجحيم والنعيم وجدت قبل المعرّي بزمن بعيد، في رؤيا "أشعيا" والقديس "بولس"، كما وجدت عند "هوميروس" و"أريستوفان"[2] في مسرحية "ملهاة الضفادع"[3]، وعند "لوقيانوس السميساطي"[4] في كتابه "مسامرات الأموات واستفتاء ميت"[5] وعند كثيرين غيرهم.

وصنّف أفضل كتبه "منهل الروّاد في علم الانتقاد" وهو في ثلاثة أجزاء. ونشر كثيراً من الفصول في عدد من الصحف والمجلات. وله كتاب "السحر الحلال في شعر الدلال" في سيرة خاله جبرائيل الدلال، وأدباء حلب ذوي الأثر في القرن التاسع عشر، و"مجموع رسائل وخطب ومقالات في أغراض شتى" لم يطبع، وديوان شعر كبير، و"مجموع أغان" من تأليفه. وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. وشعره تغلب عليه جودة الصنعة، وفي بعضه رقة وحلاوة.

1. ولد عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن فروخ في بيروت (لبنان) عام 1906، وتوفي فيها عام 1987، لأسرة مسلمة، متدينة، متواضعة، متعلمة. أتقن عمر إلى جانب العربية: الفرنسية والألمانية والإنجليزية، وألم بالفارسية والتركية. وكان يؤمن بضرورة الكتابة عن الأعلام وكشف أسرار التاريخ. كان يكتب عن الأعلام مستنطقا أحداث حياتهم موردا آراءهم بألسنتهم دون أن يكون محاميا عن أحد منهم. إلا ان الكتب الإسلامية شغلته كثيرا، فمن خلال عمله ومؤلفاته خدم الإسلام ولغة القرآن.

2. (Aristophanes) أريستوفان أو أرسطوفانيس (446 ق.م.- 386 ق.م.) مؤلف مسرحي كوميدي يعتبر من رواد المسرح الساخر في اليونان القديمة. لم يبق من أعماله سوى إحدى عشرة مسرحية، وفيها يسخر من كل أنواع البشر بما فيهم الشخصيات المعروفة أمثال سقراط الذي كان يعدّه صديقاً، كانت مسرحياته تغص بالنكات والمبالغات والنقد السياسي اللاذع على الرغم من إلباسها بمهارة فائقة ثوب العبارات الهزلية.

3. مسرحية كوميدية لاقت نجاحاً كبيراً حين قدمها اريستوفان على مسرح الآثينين لأول مرة عام 405 ق.م. ولا أدل على أعجاب اليونان بها من أنهم طالبوا بعرضها مرة ثانية، وهذا تقدير لم تنله إلا الإلياذة.

4. أديب وبليغ عاش بالقرن الثاني الميلادي عرف بكتاباته باللغة اليونانية القديمة. ولد لوقيانوس سنة 125، في مدينة سميساط على الفرات في شمال سوريا ومات سنة 180 وهناك من يقول مات سنة 175 م. وهو عالم وفيلسوف وكاتب ساخر وأول من أبحر في علم الرواية والخيال ويعد أشهر المفكرين والفلاسفة والعلماء والملهم والمعلم الأول لكثير من الفلاسفة في عصره وللفلاسفة والكتاب من بعده وللأدب العالمي.

5. أحد الكتب الهامة التي ألفها وتفوّق فيها "لوقيانوس" يظهر جليًا، وقام بترجمته أ. إلياس سعد غالي المترجم السوري المعروف، وتمت الإشارة إليه والتعريف به في هذا الجزء.

في واقع الأمر ومن وجهة نظرنا كمترجمين، فكلا الرأيين لهما وجاهتهما وحججهما وقناعاتهما، وهناك في ثنايا النص ما يشير إلى تأثر "دانتي" برحلة الإسراء والمعراج وبرسالة الغفران، وهناك في ذات الوقت ما يشير إلى تأثره بكتابات أخرى ذات طابع مسيحي. لكن – ولكي نضع حجرا يسد هذه الثغرة – يمكننا القول إنه أيا كان المصدر الملهم والمساعد لـ"دانتي" في كتاباته، فالأمر سيان بالنسبة للقارئ، لأن المهم في الأمر هو كيف أخرج "دانتي" عمله في هذه الصورة البهية. أما مصدر الإلهام والتأثر الرئيسي له فلا أحد يعلمه إلا الله، ثم "دانتي" نفسه. ومن ثم، كل ما يدور في هذا الإطار ليس إلا اجتهادات تحتمل الخطأ والصواب.

سمّى "دانتي" قصيدته بالكوميديا، وهي كلمة مأخوذة من اليونانية القديمة، تعني "أغنية"، وأيضا قصد أنها تبدأ بغابة موحشة وتصل إلى السعادة الإلهية بآخرها. وأطلق عليها الدارسون والباحثون اسم "الكوميديا الإلهية" ومنهم "بوكاتشو" في كتابه عن "حياة دانتي".

ويقول "دانتي" في إهدائه كتاب "الفردوس" إلى " فرانتشيسكو دلا سكالا" إن لقصيدته ثلاث معان: المعني اللفظي وموضوعه حالة الروح بعد الموت، والمعنى الرمزي وموضوعه الإنسان بما يناله من جزاء على ما قام به، والمعنى الصوفي وموضوعه الخروج بالناس من البؤس في الحياة الدنيا، وقيادتهم إلى طريق الخلاص والسعادة في الحياة الآخرة.

وَصْف الكوميديا: "الكوميديا" نظم فريد من الشعر، متميزة عما عداها، في الشكل، والمضمون، والهدف في الحياة وما بعدها. وهي مقسمة لثلاثة أجزاء "الجحيم" و"المطهر" و"الفردوس". كل قسم منهم به ثلاث وثلاثون أنشودة، وينضم لهم أنشودة مدخل "الجحيم"،

لتصير جميعها مائة أنشودة، رمز الوحدة واللانهاية في العصور الوسطى. وأبياتها ثلاثيات، وكان "دانتي" أول من نظم هذا النمط من الشعر بشكل متساوي الطول. ويضم "الجحيم" 4710 بيتا، و"المطهر" 4755 و"الفردوس" 4758، ومجموعها 14233 بيتا، فـ"الكوميديا" رحلة خيالية إلى العالم الآخر، تمت أحداثها خلال سبعة أيام، بدأت في مساء الخميس ليلة الجمعة 8.7 أبريل سنة 1300 ميلادية وانتهت يوم الخميس 14 أبريل. بقي "دانتي" في"الجحيم" 48 ساعة، أي يومان، وفي "المطهر" أربعة أيام، و"الفردوس" يوم واحد، وباقي الوقت كان زمن الانتقال من كل جزء إلى الآخر. "الكوميديا" بحسابات الأرقام البسيطة السابقة هذه بمثابة بنيان ضخم وعمارة شاهقة، متسقة الأجزاء، يعتمد كل جزء على الآخر بشكل ملحمي، قاده لذلك إحساسه المرهف الذي لم يشعر به أحد في زمانه.

يمثل "الجحيم" الشاب الحر الطليق المتكبر، الذي تحركه الغرائز والهوى، فتمثل الوقوع في الخطيئة، وما ينتج عنها من عذاب. ويرمز "المطهر" إلى النضج والفكر، والتوبة والأمل. ويرمز "الفردوس" إلى الطهارة والنقاء والنجاة والنعيم الإلهي. فهي تمثل الحياة وقصيدة الإنسانية الكبرى. فهي ملحمة شعرية تسعى لتغيير حياة الإنسان نحو الأفضل. ليحيا بمجتمع تملؤه القيم والصلاح.

فكيف الطريق لتغيير النفس البشرية؟ وما هو الأسلوب المناسب لتحقيق ما يحلم به؟ وعى "دانتي" أن القوانين والنظم والحكومات لا يمكنها تحقيق إصلاح حقيقي، ورأى أن العظات الدينية والفلسفة لا يمكنها تقويم البشر، وإنما علينا تغيير روح الإنسان من داخله. واستعان بالمشاعر الإنسانية مستخدما حواسه، وأفكاره وأحلامه وتحدث عن

الخفايا البشرية. أراد "دانتي" بهذا أن يكون مصلحا ومعلما للبشر. وقد كان يطلب العلم والمعرفة على الدوام، وليتمكن من هذا كان يستخدم أدواته: وهي الفن؛ الذي يشمل المعارف والوقائع والأحلام والتغلغل لداخل النفوس، ويأسرها بالإحساس القوي، ليهذب النفوس، ويعلمها السمو والرقي والترفع عن كل المطامع والرغبات والشهوات.

محى "دانتي" الفارق بين الزمان والمكان والحقيقة والخيال، واستخدم شعره ليصف ويشرح المجتمع بكل ما فيه من عيوب. وتناول أثناء هذا بعض الصور من الحياة البشرية المتنوعة: كتساقط أوراق الشجر، وهدوء الحكماء وحديثهم العذب، والحمام الذي يطير إلى العش، وسريعي الغضب، والقارب الذي ينطلق فوق المياه. وبناة السفن وهم يعملون، والزارع الذي يستريح على سفح التل.

صور "دانتي" السهول والجبال، الغابات، والأنهار، والشروق، كما صور البكاء والعويل، كذا البسمات والضحكات. وتناول مهلكات البشر: الشهوة، والطمع، الكذب، السرقة، والبخل، والحقد، الأنانية، والغضب، والنفاق، وأيضا المشاعر الطيبة مثل الأمومة والحب، والعفو، والتوبة، والصفاء، والسلام الداخلي. كما تناول العديد من المتناقضات كالموت والحياة، الفقراء والأثرياء، الأشرار والأخيار، وفيها أيضا نجد الحكمة البالغة والعبرة، والثورة، والرقة، السخرية والأمل.

كل بيت داخل "الكوميديا" لغته دقيقة، أسلوبه موجز معبر، كما لو كانت إشارات، تدفعك للتأمل. لديه أسلوب رفيع المستوى فضلا عن سهولته وبساطته التي لا تخلو من إبداع فريد. فهو يكتب أقوى الشعر وأفخمه، كما يكتب أجمله وأرقه. أحيانا ألحانه رقيقة مثل الطيور في السماء، وأخرى عنيفة كغضب الوحش الثائر، هذه حزينة،

وتلك سعيدة. عمل "دانتي" شعرا يفيض بالحياة. واستخدم التشبيه والرمز، وهيأ الجو المناسب لإنجاز هدفه، فكان نحّات وحداد، ورسام، ومهندس في آن واحد. جعل لهجة "فلورنسا" العامية لغة غنية، نبيلة، قوية، سخية، تعبر عن كل ما فكر به. فكانت بحق الثمرة لهذا العصر، بكل ما قد يحويه، وتصويرها للمجتمع في تلك الحقبة. ومع ذلك فقد تمرد من خلالها على تقاليد هذا العصر. ومن أمثلة هذا فقد وضع البابا في "جهنم" مع تقديس المسيحيين لـه. ووضع "مانفريد" بـ"المطهر" لإظهاره الشهامة، وأراد "دانتي" إقامة إمبراطورية واسعة يحكمها ملك واحد.

رغب في خلق عالم جديد يسوده الأمان والمحبة والوحدة والسلام. وكان ذاك حلما تمناه الكثيرون على مدى الزمن وحتى يومنا هذا. فهل من الممكن أن يتحقق الحلم ويصبح عالمنا مثالي؟

الجحيم أو جهنم في الديانات الثلاث: في بحث أعدته أ. ندى العمراني فقد قامت بتناول جهنم أو الجحيم في معتقدات الشعوب وأيضا في الديانات السماوية الثلاث، فنرى أن جهنم في الإسلام هي مكان تعذيب وانتقام الله عز وجل من الكافرين ومن العصاه، حسب ما دل على ذلك القرآن الكريم، ويدخلها من كتب عليه الله الشقاء بعد الحساب يوم القيامة، وتعتبر جهنم من الغيبيات التي لا يمكن وصفها لما فيها من شدة العذاب والتنكيل، ونجد أن العدد سبعة وأضعافه يلعب دوراً اساسياً عند ذكر الجحيم أو النار وصفاتها، على سبيل المثال سبعة أبواب وسبعة طوابق تتضاعف فيها الحرارة سبعين مرة عند الإنتقال من درك إلى درك أسفل، يجرّ مجموعة الهالكين 70000 ملاك. ولجهنم أسماء منها النار، الْحُطَمَةِ، سقر، الهاوية، السعير. جهنم

سوداء، وأهلها سود، حيث كل شيء فيها أسود، ومن عذاب أهل النار سحبهم على وجوههم "يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ" (القمر 48). ومن أهل النار من يعذب بالصعود إلى أعلى النار ثم يهوي فيها، ومن يدور في النار ويجر أمعاءه معه، وهناك من يلقى في مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة لضيقه "وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا" (الفرقان 13). يحدد بعض العلماء مكان النار في الأرض السابعة في سجّين، "قيل هي الأرض السابعة" كما أن العرش سقف الجنة في السماء السابعة، فالمخلوقات كلما ارتفعت اتسعت، وكلما هبطت تضايقت، فالجنّة في أوسع مكان وأعلاه، والنار في أسفل مكان وأضيقه".

في المسيحية: الجحيم "بحيرة النار" هو المكان الدائم والنهائي لعقاب الضالين، حيث إن العذاب في جهنم يشمل النفس والجسد معاً فحينها تلبس الأرواح الأجساد ويطرح الجسد والنفس معاً في مكان العذاب "لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ" (إنجيل متّى 10:28 لوقا 12:4) وإن العذاب الأبدي الذي سيلقاه الأشرار والذين لا يؤمنون بالله ولا ينفذون وصاياه فهم سوف يلقون في بحيرة النار والكبريت حيث دودهم لا يموت ونارهم لا تنطفئ، وتقف أمامهم كل صور خطاياهم إِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا، خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ، إِلَى النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ (مرقس 43:9) وغير بحيرة النار التي يرمى فيها الخاطئون هناك تسع أنواع أخرى من العذاب وهي البرد وأفاع ضخمة، وضجيج يصم الآذان

وظلمات بلغت من الكثافة حداً يمكن معه لمسها ورؤية رؤوس شياطين كريهة المنظر، وكذلك سلاسل من النار تكبل المُعذبين والأشد من ذلك كله هو عذاب الضمير.

في اليهودية: جاء في سفر دانيال "ويكون وقت ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الزمان وفي ذاك الزمان ينجو شعبك وكل من يوجد مدونا في الكتاب وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرعب الأبدي" 12 2–1 حيث إنه عند الموت تذهب النفس لتستقر في الجحيم في منازل منفصلة للصالحين وللأشرار، عندئذ يذهب الأولون إلى "جنّة عدن" والآخرون إلى جهنم وهي مكان قائم في الغرب، وقد جاء في التلمود أنها مؤلفة من سبعة منازل بعضها فوق بعض، تسيطر في جميع طبقاتها نار قوتها في كل منزل تزداد ستة أضعاف عن المنزلة التي فوقها وعلاوة على النار هناك أهوال مختلفة عبارة عن قاعات مظلمة تعج فيها العقارب وأخرى يضطر فيها المعذب إلى التهام أعضائه، ولكن هذه العذابات هي وقتية وغايتها التطهير من الآثام وبعد انقضاء فترة التطهير تذهب النفس إلى جنّة عدن باستثناء الخطاة الغلاظ الأكباد.

الجزء الأول في "الكوميديا الإلهية" — الجحيم: حاضرة هي دائما على مر العصور على الرغم من أنه كتبها منذ مئات السنين. يتذكرها الإيطاليون وغيرهم من بني البشر، وخاصة عندما يتعلق الأمر بهول أو مصيبة كبرى. ففي أغسطس (2016) هز إيطاليا زلزال قوي بلغت قوته 6.2 ريختر وأحدث الكثير من الوفيات والأضرار والتهدمات والتصدعات، فكان أول وصف من الجانب الإيطالي لهذه المأساة كان على شبكات التواصل الاجتماعي والإنترنت ومع تغطية أخبار الزلزال،

وبحسب صحيفة "ديلي ميل" البريطانية، تداول وصف "جحيم دانتي" لأحداث هذا الزلزال والتي أظهرت الصور حجم الرعب للكارثة التي عاشها السكان الذين وصفوا ما حدث بأنه "جحيم دانتي".ارتفعت حصيلة الزلزال الذي ضرب وسط إيطاليا ليصل إلى 247 قتيلا، ودمر أجزاء من القرى الجبلية.

لنعد ثانية بالأحداث إلى فترة العصور الوسطى! أبدع "دانتي" في وصف الجحيم وأضفى عليها من عبقريته بُعداً فريداً تتفجر طاقته من أنهار صور الرعب والصرامة الفكرية المنطقية والرمزية، ويصف "دانتي" عذاب من أدخلوا الجحيم بسبب معاصيهم خلال حياتهم ويتعرض إلى تفاصيل التعذيب والآلام التي ستصيبهم، ويعتبر "دانتي" الجحيم مركز الأرض الضرورية لحشر الأشرار وتهيئة الجو لصعود الأطهار، ويعد الجزء الأول منها وهو جهنم الأشهر في هذه الملحمة.

بطل الرواية التي جزأها الأول هو الجحيم هو "دانتي" نفسه، إذ أنه يتخيل نفسه في منتصف العمر ضائعا في غابة، فتهب "بياتريتشي" لنجدته من خلال استعانتها بالشاعر "فيرجيليو" فتطلب منه أن يصبح دليلا ومرشدا لـ"دانتي"، وفعلا يقوم "فيرجيليو" بهذا الدور وتبدأ رحلة "دانتي" عبر الجحيم مع مرشده. والآن لتسمح لي أيها القارئ العزيز بأن أسبح معك في ومضات سريعة عن أهم الأركان والحلقات التي تشكل الجحيم بحسب تصورات "دانتي أليجييري"، ونبدأها بمدخل الجحيم حيث رأى "دانتي" هناك أولئك اللذين لم يمتلكون الشجاعه للقيام بعمل خير أو شرير، و كان عذابهم هو أن يمشون عراة، فتلسعهم الحشرات، وتختلط دماؤهم بعرقهم، وتسيل على الأرض.

الحلقة ا لأولى: الليمبو: أقرب دوائر جهنم إلى الجنة. التقى فيها "دانتي"

الأخيار الذين ماتوا قبل نزول المسيحية فلم يتم تعميدهم، لكن هنالك من تم مسامحته وتم أخذه إلى الجنة من هذه الفئة. عذابهم هو التطلع الأبدي لمصير أفضل دون نيلهم ذلك.

الحلقة الثانية: هنا يبدأ جحيم "دانتي" الحقيقي، ففي هذه الحلقة نجد الآثمين الذين غلبوا عاطفتهم على عقلهم، وقد حاور في هذه الحلقة امرأة ورجل يدوران في عاصفة هوجاء، ويتضح له بأنهما "فرانتشيسكا" و"باولو" اللذان غلبا عاطفتهما على عقلهما، وعذابهما كان أن يعلقا في عاصفة هوجاء أبد الآبدين. يقبع في الحلقة كل من ارتكب خطيئة الإنصياع لشهواته أو من يسمح لشهوته بالتحكم بعقله. ويعيش في هذه الدائرة "سميراميس" و"كليوبترا" و"ديدو" و"هيلين" و"باريس".

الحلقة الثالثة: هي الحلقة المخصصة للنهمين والشرهين، وعقابهم هو أن يتمزقون ويلتهمون من قبل الوحش تشيربيروس "Cerberus" ذو الرؤوس الثلاثة. عندما وصل "دانتي" و"فيرجيليو" هاجمهم الوحش إلا أن "فيرجيليو" قام بإلقاء حفنة من الرمل في فمه، ثم مروا على الأشباح المغمورة بمياه المطر، والتقوا شبح "تشاكو" المواطن الفلورنسي المعروف بالنهم.

الحلقة الرابعة: يقبع في هذه الدائرة كل من سمحت لنفسه بالتعلق بالأشياء المادية. وسمى حارس هذا الدائرة بـ"بلوتو"، إما تيمنا بالإله حارس جوف الأرض أو تيمنا بـ"بلوتوس" إله الثروة. شهد "دانتي" في هذه الحلقة منظرا قد يذكرنا بعقاب "سيسيف" في الميثولوجيا الإغريقية، إذ وجد مجموعة من البشر تدحرج صخورا ثقيلة باتجاهين مختلفين، وتبين له لاحقا بأن هؤلاء مجموعة البخلاء والمبذرين، وكان كل فريق يعيّر الآخر بمثالبه بينما يدفع الحجر.

الحلقة الخامسة: تضم هذه الحلقة سريعي الغضب ثم الكسالى الخاملين ثم الحاسدين. في هذه الحلقة نجد مستنقع "استيكس"، ويقصد به النهر الحزين الذي يحيط بمدينة الشيطان حسب "فيرجيليو"– المنظر في هذه الحلقة كان عبارة عن مجموعة من البشر ظاهرة على سطح الماء، يضربون بعضهم بعضا بالرؤوس والصدور ويمزقون بعضهم بعضا بأسنانهم، ويتبين لـ"دانتي" أنهم من كانوا سريعي الغضب في حياتهم الدنيا، وشاهد أيضا فقاقيع ترسل من الأعماق فتبين له أن مجموعة الكسالى ترقد تحت في الأعماق وهم الذين يرسلون فقاقيع الهواء إلى سطح الماء، لانحشار الكلمات في حناجرهم.

مدينة ديس: بعد المستنقع وجد "دانتي" نفسه تحت برج عال عند مدينة "ديس"، وهنا وجد أحد أعدائه، فأظهر له "دانتي" القسوة، ورد عليه العدو بمحاولة لقلب قاربه، إلا أن "فيرجيليو" هدأ من روع "دانتي". لم يتمكن "دانتي" و"فيرجيليو" من دخول المدينة وواجهتهما بعض المتاعب في البداية، إذ اعترضت طريقهما 3 جنيات لهن شعر من الأفاعي الصغيرة، وفجأة قمن بلطم أنفسهن والصراخ، واستدعين "ميدوسا" لتحول "دانتي" لحجر لكن "فيرجيليو" أنقذه مرة أخرى، وفي النهاية استطاعا الدخول بمساعدة ملاك هبط من السماء، وفتح المدينة وعاد من حيث جاء. وفي المدينة كانت قبور تشتعل نارا، واللهيب يظهر من حولها، ويسمع من داخلها صراخ الهراطقة، وفيها التقى "دانتي" مرة أخرى أحد خصومة لكنه هذه المرة التقى بالنصف العلوي – من منتصفه حتى الرأس– فقط. استمر "دانتي" و "فيرجيليو" نحو قلب العذاب، ووصلا لمنطقة من الصخور تفصل الحلقة السادسة (الهراطقة الذين أبدعوا في تفسير الحياة بعيدا عن مبادئ المسيحية)

عن السابعة، لكن روائح كريهة منعتهما من المضي قدما، فاحتميا بكهف، وفيه استغل "فيرجيليو" الفرصة ليشرح لـ"دانتي" لماذا لم يجمع أصحاب الذنوب الآنف ذكرهم في الحلقات السابقة من الجحيم مع من سيلتقيهم لاحقا في قلب الجحيم، ويستعين بذلك بأفكار "أرسطو" في كتابه علم الأخلاق.

الحلقة السابعة: تنقسم إلى ثلاث حلقات صغيرة فرعية: الحلقة الأولى من الحلقة السابعة: هنا يقبع مرتكبو جريمة العنف ضد الأشخاص أو الأملاك، وعذابهم أن يكونوا في نهر من الدم المغلي، بعضهم غمر حتى رموشه، وبعض آخر يصل النهر حتى أعقابهم فقط، وذلك التدرج مرتبط بحجم العنف الذي ارتكبه! أما بالنسبة لمن تسول له نفسه بأن يعلو بجسده أكثر مما يتناسب مع خطيئته، تقف له القناطس – مخلوقات أسطورية نصفها رجل ونصفها حصان، وترمز للعنف والغضب– بالمرصاد موجهة لهم أسهم. الحلقة الثانية من الحلقة السابعة: عبارة عن غابة فيها أشجار جافة، ومخلوقات خرافية تسمى "الهاربي" – نصفها امرأة ونصفها طائر– يكتشف "دانتي" بأنها أرواح الذين ارتكبوا خطيئة الانتحار بحق أنفسهم، وعذابهم هو أن تنمو أرواحهم بأجساد شجر ومن ثم تأتي "الهاربي" وتتغذى عليهم. الحلقة الثالثة من الحلقة السابعة: اتجه "دانتي" و"فيرجيليو" للكثبان الرملية التي تشبه رمال ليبيا، وتتساقط عليها لهيب من السماء، حيث يجدان المعذبين الذين اقترفوا جريمة العنف ضد الله أو الطبيعة أو الفن، وتتبعا أثر مياه كانت تسقط إلى الحلقة الثامنة في طريق ضيق ما بين غابة المنتحرين و كثبان الآثمين بحق الله أو الطبيعة أو الفن، وفي أثناء اتجاههما إلى الحلقة الثامنة، التقيا أحد من معارف "دانتي" ودار

بينهما حوار بشأن "فلورنسا"، كما التقيا ثلاث من فرسان "فلورنسا" الشجعان والذين كانوا يدورون حول أنفسهم بحلقة دون توقف، وهو عقاب من ارتكب خطيئة قوم لوط. قام "فيرجيليو" بمناداة الوحش "جيريوني"، صاحب الوجه العادل وجسد الزواحف، وبينما انشغل "فيرجيليو" بإقناع "وسيلة نقلهم للحلقة الثامنة" بأن يعيرهما كتفه، حاور "دانتي" بعض الآثمين في الحلقة الثالثة من الحلقة السابعة، وبعد موافقة الوحش صعدا على ظهره وهبطا للحلقة الثامنة.

الحلقة الثامنة (الماليبولجي "Malebolge"): انطلق الوحش كالسهم بعد أن أوصل "دانتي" و"فيرجيليو" للحلقة الثامنة، وهي عبارة عن مكان مليئ بالخنادق والأودية الصخرية ذات اللون القريب من الحديد الصدئ والذي يتناسب مع طبيعة قلوب الآثمين في الخندق الأول، فهو المكان الذي يقبع فيه الخونة الذين خانوا القلوب وارتكبوا خطيئة الإغراء ومن غرر بالنساء! فيبدو أن التلاعب بالمشاعر لدى "دانتي" من أعظم الكبائر. هنا نرى القوادين وقد ألهبت الشياطين ظهورهم بسياط نارية ممزقة، وقد تعرف "دانتي" على "فينيديكو" الذي با ع أخته ودلّها على طريق الغواية رغبة في ربح مادي، كما رأى البطل الإغريقي "جاسون" الذي أغرى فتاة بكلامه الشاعري المعسول، ثم هجرها حبلى تواجه الإثم والعار. وقد قدمهم على مرتكبي العنف، وجعل عذابهم في أن تجلدهم الشياطين وتلهب ظهورهم في أحد الخنادق، بينما يغوص بعضهم في برك من الغائط البشري في الخندق الثاني. لم يستمر "دانتي" طويلا في هذا الخندق بسبب طبيعة العقاب المفروضة فيه على من يستخدم لسانه وجسده لخداع البشر تحقيقا لفائدة مادية، وهو خندق يقبع به المتملقون ومن امتهن الدعارة

والإغـواء، العقـاب الشعري الـرمزي مـن "دانـتي" دلالـة رمـزية على بشاعة وقبح باطن وروح هؤلاء والذي يداورونه بمعسول اللسان وما تظهره الأبدان، فحكم عليهم بالإغراق في بحيرة من الغائط والنفايات البشرية. أما الوادي الثالث من الحلقة الثامنة: فخصصه "دانتي" لمن حصل على الأشياء المقدسة بالمال دون التقوى، وعذابهم كان أن يدفن نصفهم في الأرض بالمقلوب حتى لا يظهر منهم سوى أرجلهم في الهواء تحترق باطن أقدامهم كالشموع. هنا يرى "دانتي" من وسم بالسيمونية، نسبة إلى سيمون الساحر الذي أراد أن يشتري مكانا له بالكنيسة عن طريق المال دون التقوى، وهذا المكان هو مصير كل من استغل الدين للحصول على فوائد دنيوية، ويتم عقابهم بوضعهم مقلوبين في حفرة صخرية لا يبين منها سوى أقدامهم كرمز للتعميد المسيحي المقدس والذي شوهه الآثمون ولوثوا اسم الله، بينما تحرق نيران الجحيم أقدامهم حتى تذوب. الوادي الرابع من الحلقة الثامنة: فيه نرى المشعوذين والمنجمين، وعقابهم كان أن أصابهم التواء في أجسادهم بحيث رؤوسهم لفت للوراء، وأصبحوا يمشون للخلف وهم يبكون وتبلل دموعهم أردافهم! الوادي الخامس من الحلقة الثامنة: خصصه "دانتي" للمرتشين الذين استغلوا وظائفهم لجمع المال، وعقابهم كان إلقاؤهم بقطران مغلي على يد شياطين مع شوك. في هذا الخندق يلتقي "دانتي" و"فيرجيليو" الغدار "مالاكودا" قائد شياطين الخندق، وقد مر الشاعران بتجربة مخيفة هنا حيث أخذا بالهرب من شياطين الجحيم الغدارة وحمل "فيرجيليو" "دانتي" بين يديه كالطفل حتى تمكنا من الهروب. الوادي السادس من الحلقة الثامنة: بعد أن خاض "دانتي" حوارات مع المرتشين في الحلقة الخامسة، استغل انشغال الشياطين

بإنقاذ أحد بني جنسهم بعد أن خدعه أحد الآثمين، وبعد أن حمل "فيرجيليو" "دانـتي" خوفا من ملاحقة الشياطين، وصلا إلى الوادي السادس. هنا يعذب المنافقون برمزية واضحة بارتداء معاطف باهرة الجمال من الخارج وقبيحة مبطنة بالرصاص المعيق المؤلم كدلالة على التباين بين ما يظهرونه للآخر وما يبطنونه. كما تقع عين "دانتي" هنا على كاهن مصلوب على الأرض ويقوم بقية المنافقون بالسير فوقه بمعاطفهم الثقيلة، بينما تنغرس الأوتاد في يديه ورجليه ويصرخ متألما للأبد. الوادي السابع من الحلقة الثامنة: وادي مليء بالزواحف، وهو عقاب اللصوص، إذ أن الزواحف تلتف عليهم وتلدغهم فيحترقون ويتحولون إلى رماد، وقد التقى "دانتي" عدد من أشهر اللصوص في الميثولوجيا اليونانية وفي "فلورنسا"، منهم "بوزو دلي أباتي" الذي رآه "دانـتي" بعد أن لدغته إحدى الزواحف. الوادي الثامن من الحلقة الثامنة: خصصت لهؤلاء الذين لا يراعون الأمانة والصدق في آرائهم، وعقابهم هو أن يسيروا بينما يلف أرواحم اللهيب، ومن بين المعذبين الذين التقاهم "دانتي" كان "أوديسيوس" – صاحب فكرة حصان طروادة. الخندق التاسع من الحلقة الثامنة: مخصصة لمن أثار الفتن السياسية والدينية، ولقد عجز "دانتي" عن وصف كمية الجروح والدماء التي رآها في هذا الخندق! فهنالك أنوف مقطوعة و أذرع، و هنالك من حمل رأسه كمصباح يتدلى، وكان هذا الشاعر "برتران دي بورن" الذي أوقع ما بين "هنري الثاني" ملك انجلترا وابنه. الوادي العاشر من الحلقة الثامنة: بكى "دانتي" كثيرا لما رأى في الخندق التاسع، لدرجة أنه كان يود البقاء للبكاء إلى أن "فيرجيليو" نهاه عن ذلك، فذهبا للوادي العاشر حيث مزيفو المعادن مستلقين على بطونهم أو راكعين

وقد أصيبوا بأمراض مختلفة: الجرب و البرص والصرع ولا يقوون على الوقوف.

الحلقة التاسعة: في رحلتهم نحو الحلقة التاسعة، مر الشاعران بأرض المردة، وكان الوحيد "أنتيوس" الذي لم يكن مكبلا، وهكذا سأله الشاعران بأن يأخذهما لقلب البئر حيث الحلقة التاسعة من جحيم "دانتي". أول دائرة منها خصصها "دانتي" لخونة الأقارب والأنساب! وقد استنجد "دانتي" بربات الشعر كي يساعدنه على التعبير عما رآه. كانت تطل رؤوس الخونة كالضفادع، ولا يستطيعون البكاء لتجمد الدموع في مقلتهم! ثم دائرة خونة الوطن، والأصدقاء، وأخيرا حيث يقبع "لوتشيفيرو" يتواجد خونة من أحسن إليهم أو خان سيده، ويتناولهم "لوتشيفيرو" بيديه الضخمتين ليلتهمهم عقابا على ما اقترفوه، وهؤلاء تفارق أرواحهم أجسادهم إلى هذا المكان حتى قبل موتهم!

هذا هو جحيم "دانتي"، هذه هي الخطايا مرتبة حسب درجة دنوها باعتقاده مقرونة بالعذاب الذي يشعر بأنه يليق بها حسب تصوراته.

نلاحظ أن "دانتي" يرى بأن الخطيئة ذات الضرر المعنوي والتي تلمس القلب أعظم وأجل من تلك التي تلحق أضرارا مادية، ففي قلب عذابه جعل الخونة لمن أحسن إليهم، كما أنها الخطيئة الكبرى التي ارتكبت بحق سيدنا عيسى عليه السلام حسب الديانة المسيحية التي استخدمها "دانتي" في كتابته للكوميديا. أيضا نلاحظ بأن نوع العذاب يبدو أنه نابع من إحساس وتقمص للخطيئة، مثلا من يغلب عاطفته على تفكيره يعلق في عاصفة هوجاء في الجحيم، يبدو أن ذلك يشبه إحساس الإنسان الذي يتجاهل صوت عقله ويستسلم كليا لمشاعره! وقد نختلف في كون ذلك أمر إيجابي أو سلبي لكن دمج

الرياح بالعواطف يبدو لي وكأنه نابع من إنسان فكر وشعر بأن من المناسب جعل من يحدث ضررا باسم العواطف بأن يدور إلى الأبد بين أذرع الرياح العاتية! كذلك الأمر مع مرتكبي الانتحار، فتحولهم إلى شجرة تتغذى عليها مخلوقات خرافية ليس بالعذاب المهين بقدر ما هو حزين ومؤلم، بعكس من غرر بالنساء على سبيل المثال فعذابهم كان مهين ومؤلم! إن صدق "دانتي" مع ذاته، وقدرته على خلق مساحات شاسعه لكن واضحة المعالم من حيث البداية والنهاية والتدرج بينهما يكسب عمله البعد الخالد الذي حفظه في قلب الأعمال الإنسانية الأدبية.

وبهذا أنهى الجزء الأول من رحلة "دانتي" لكن الرحلة العجيبة في عالم ما بعد الموت لا تنتهي مع الجحيم، بل تستمر بعده إلى جبل المطهر، إذ يصل "دانتي" و"فيرجيليو" لقلب الأرض، وهناك تبدأ الرحلة العكسية للأعلى، ومن ثغرة مستديرة خرجا ليستعيدا رؤية النجوم.

الدراسات حول "دانتي" وأدبه: هناك الكثير من الدول بها من يتخصصون في دراسة "دانتي". وكانت بداية عمل دراسات وأبحاث عن حياة "دانتي" والكوميديا وتدريسهما في القرن الرابع عشر، في جميع أنحاء إيطاليا. وفي أول القرن الثامن عشر، زاد اهتمام الباحثين بدراسة "دانتي" وأشعاره وحياته. وفي نهاية القرن التاسع عشر تم إنشاء العديد من الجمعيات المعنية به، على سبيل المثال جمعية "دانتي" في "درسدن" 1865، وجمعية "دانتي" في "أكسفورد" عام 1876، وجمعية "دانتي" في "كامبردج" في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1883. واهتمت الكثير من الجامعات الغربية بدارسة "دانتي"، وتحقيق مؤلفاته الإيطالية، وتم ترجمتها للعديد من اللغات، وكتبت لها الشروح والتعليقات، وتم

نشرها بالدوريات، وقد اهتمت المكتبات و الجامعات بجميع مؤلفاته. فإن كل شخص يتمكن من قراءة كتاباته، يصبح من المعجبين به، وتلميذا له. فله مئات الآلاف من الدارسين والمحبين، فهو الشاعر الحكيم والفنان المتصوف، ومن أبرز الدارسين لكتاباته: "جوفاني باسكولي"[1]، و"جوزيه كاردوتشي"[2]، و"فرانتشيسكو دي سانكتس"[3]، و"نيكولا زنجاريلي"[4]، و"دل لونجو" من الإيطالين؛ "شلوسر"، و"باور"، و"بومر"،

1. (Giovanni Pascoli) شاعر إيطالي ولد في مقاطعة "فورلي". يتصف "باسكولي" بالشاعرية والإنسانية والخيال الخصب. وقد تأثر، حين كان عمره اثني عشر عاماً، بحادثة مقتل والده، ولما تبعها موت والدته مع أطفالها الثلاثة، صار شاعر الآلام. درس "باسكولي" الأدب واللغات في أوربينو. كان "باسكولي" عالماً باللغة اللاتينية، فأتيحت له فرصة الفوز مرات كثيرة في المسابقات العالمية في الشعر اللاتيني التي كانت تقام في مدينة أمستردام في هولندا. وتُعد كتاباته في هذا المجال نحو الثلاثين من القصائد الشعرية والكتابات الأدبية. ومع اهتمامه الزائد بالدراسات التقليدية (الكلاسيكية) فقد كان رومانسياً بسجيته وعاشقاً للطبيعة عبّر عنها في جميع مشاعره الأدبية. أطلق باسكولي على أول مجموعاته الشعرية تسمية "ميريكايه". نقد الشاعر الإيطالي الشهير "دانتي أليجييري".

2. (Giosué Carducci) (1835-1907) هو مدرس وشاعر إيطالي موهوب، لقب بشاعر البلاط، وفي عام 1906 أصبح أول إيطالي يحصل على جائزة نوبل في الأدب، ويعتبر واحدا ممن صنعوا مجد الشعر الإيطالي الحديث. كاردوتشي هو واحد من ثلاثة أدباء صنعوا مجد الشعر الإيطالي الحديث، أما الآخران فهما جوفاني باسكوالي (1855-1912) وجابرييل دانونسيو (1863-1938). ويقول الناقد "فرانسوا لفي" أستاذ الأدب بجامعة السوربون "إن هولاء الثلاثة قد جمعتهم نقاط مشتركة غير الشعر، منها أنهم قد إقتربوا من السلطة السياسية، كما كتبوا النثر وخاصة الرواية وعرفوا نجاحا مبهرا خارج بلادهم، وقد عرف هولاء الشعراء بأنهم وحشيون، حاولوا الخروج بأشعارهم من الجو الكلاسيكي الذي غلب على إبداع سابقيهم. وهناك سمة أخرى وهي أن النغمة السياسية واضحة للغاية في أشعارهم.

3. (Francesco De Sanctis) (1818-1882) ناقد أدبي إيطالي، ومن مؤسسي مدارس النقد الحديث في إيطاليا. بسبب أرائه السياسية تم نفيه إلى خارج إيطاليا، ثم بعد ذلك عين وزيرا للمعارف. أهم مؤلفاته: "تاريخ الأدب الإيطالي"، و"دراسات عن بتراركا". عاد إلى بلاده عام 1860 ونشط في مجالي السياسة والأدب، وأصبح حاكماً لإقليم "أفلّينو" ووزيراً للمعارف، وأستاذاً للأدب المقارن في جامعة نابولي (1871-1877).

4. (Nicola **Zingarelli**) **(1860-1935) ناقد وكاتب إيطالي معروف درس في نابولي و"فلورنسا" وبرلين، وهو من أفضل وأروع من تناولوا السيرة الذاتية لـ"دانتي أليجييري" وكذا أعماله.**

و"فيجلي" من الألمان؛ "بارلو"، و"مور"، و"توينبي"، و"جادرنر" من الإنجليز؛ و"لونجفلو"، و"نورتون"، و"لوول"، و"هوايت"، و"ويلكنس" من الأمريكيين؛ "أوزانام"، و"أوفيت"، و"لونيون"، و"ماسيرون" من فرنسا، بالإضافة إلى "بلاثيوس" الإسباني، و"سكارتاتزيني" السويسري. يرى الكثيرون أن عدد طبعات كتابات "دانتي" تأتي في المرحلة الثانية بعد الكتاب المقدس. علاوة على ذلك، فقد وجد "دانتي" عناية من جانب رجال الفن، فتناول الرسامون والمصورون والموسيقيون جوانب من أعماله، ومنهم "جوتر"، و"سنيوريلي"، و"بوتتشي"، و"مايكل أنجلو"، و"تزاندوناي"، و"دويه"، و"روردان"، و"فرنتس ليست" المجري؛ و"تشايكوسكي" الروسي.

ولم يتم "دارسة "دانتي" بالشكل الكبير في العالم العربي واقتصرت على بعض الدراسات المقارنة. وقد تحدث عنه بعض الكتاب العرب ومنهم قسطاكي الحمصي، وقد كتب تسع مقالات في مجلة المجمع العلمي بدمشق عام 1927 و1928، وكان خلالها ينتقد "دانتي" وقارن بين الكوميديا وبين رسالة الغفران. وقد نشر كامل كيلانى رسالة الغفران عام 1930، ولخص في آخر كتابه "جحيم دانتي" بشكل وافي، وكتب محمود أحمد النشوي عشر مقالات بمجلة الرسالة عام 1934، بعنوان: بين المعري و"دانـتي"، تعرض فيها للجحيم والمطهر، وتحدث عن نواحي الشبه والخلاف بين الكوميديا والغفران. وكتب دريني خشبه ست مقالات في مجلة الرسالة عام 1936، عن "دانتي" والكوميديا الإلهية والمعري ورسالة الغفران، لخص فيها حياة "دانتي"، وأشار إلى أثر بعض السور القرآنية والإسراء والمعراج الإسلامي في كوميديا "دانتي".

وتحدث محمد مندور[1] في كتاب نماذج بشرية، عام 1951، في مقالين تحدث عن "بياتريتشي"، وتكلم عن دورها وكيف كانت مصدر الإلهام، ووصف مكانتها لدى "دانتي" وفي "الكوميديا" وكيف أنها هي وسيلة للسعادة الأبدية. وكتب محمود محمد الخضري في مجلة رسالة الإسلام في القاهرة سنة 1953، مقال تحدث فيه عن أثر الإسراء والمعراج الإسلامي في "كوميديا دانتي"، وقد ألّف الدكتور صلاح فضل[2] كتابا أسماه "تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية لـ"دانتي"".

"دانتي" والإسلام والمسلمين وحضارتهم: يقول أ. يوسفي ياسر في مقالة له بعنوان "الكوميديا الإلهية — الاستشراق — وأشياء أخرى" في جريدة "البديل" بتاريخ 24 مارس 2016 متحدثا عن "دانتي" والإسلام في كوميدياه، فيقول إن "دانتي" كان أحد الوجوه والأقنعة التي عراها الكاتب والمؤرخ الكبير إدوارد سعيد في كتابه الشهير "الاستشراق"،

1. محمد عبد الحميد موسى مندور (1907-1965)، ناقد أدبي وكاتب مصري متنوع، ولغوي. مارس الصحافة والتدريس الجامعي. عاش تاريخا حافلا بمعارك سياسية، وفكرية، واجتماعية مؤثرة، ولد بالشرقية في 5 يوليو 1907 والتحق بكلية الحقوق وقت افتتاح الجامعة المصرية عام 1925 ثم درس بكلية الآداب قسم الاجتماع وقسم اللغة العربية وحصل على ليسانس الآداب عام 1929 وليسانس الحقوق عام 1930.

2. ولد عام 1938. أوفد في بعثة للدراسات العليا بإسبانيا وحصل على دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة مدريد المركزية عام 1972م. عمل في أثناء بعثته مدرسًا للأدب العربي والترجمة بكلية الفلسفة والآداب بجامعة مدريد منذ عام 1968 حتى عام 1972. عمل بعد عودته أستاذًا للأدب والنقد بكُلِّيتي اللغة العربية والبنات بجامعة الأزهر. وعمل أستاذًا زائرًا بكلية المكسيك للدراسات العليا منذ عام 1974 حتى عام 1977. أنشأ خلال وجوده هناك قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة المكسيك المستقلة عام 1975م. انتقل للعمل أستاذًا للنقد الأدبي والأدب المقارن بكلية الآداب بجامعة عين شمس منذ عام 1979م حتى الآن. انتدب مستشارًا ثقافيًّا لمصر ومديرًا للمعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد بإسبانيا منذ عام 1980م حتى عام 1985م. رأس في هذه الأثناء تحرير مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد. أختير أستاذًا شرفيًّا للدراسات العليا بجامعة مدريد المستقلة. له مؤلفات عديدة أثرت المكتبة العربية في الأدب والنقد الأدبي والأدب المقارن وزودت الباحثين برؤى جديدة في الشعر والمسرح والرواية.

حيث وصفه بالشاعر المتعصب جدا والمسيء للعديد من عظماء التاريخ من مسلمين ومسيحيين. ولعل أول وأكثر من أساء إليهم "دانتي" هو رسولنا الكريم، ونبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، بعدما كشف عن تعصبه وحقده عليه لحد الحكم عليه باستحقاقه أن يضعه في الجزء الأول من الكوميديا الإلهية وهو الجحيم. وهذا الحكم من جانب "دانتي" ينم عن حقد وكره دفين ليس من جانبه فحسب، وإنما من جانب الغرب أجمع في تلك الفترة المظلمة من تاريخهم، وهي فترة العصور الوسطى، تلك الحقبة الزمنية التي يصفها المؤرخ الإنجليزي "إدوارد جيبون"[1] بأنها "ألف سنة من الهمجية". لاحقا قام المؤرخون بتوسيع المصطلح الواصف لتلك الفترة في أوروبا فقالوا عنها أنها فترة شملت أيضا "غياب الكتابات التاريخية وانعدام الإنجازات الحضارية المادية، والانحطاط في مختلف المجالات، ولم يبق من معارف الإغريق والرومان التي ازدهرت في أوروبا سوى القليل محصورا بين الأديرة والكاتدرائيات وبلاطات الحكام، وتميزت العصور المظلمة بتفشي الجهل والتزمّت الديني الشديد وتعاظم دور الكنيسة في مختلف مجالات الحياة وأيضاً بانتشار الحروب العسكرية تقريبا في شتى الأرجاء".

أخطأ "دانتي" في تناوله للإسلام والمسلمين خطأ شديدا لا يغتفر بأي حال من الأحوال، وهذا دليل آخر على أن أعلى الطبقات المثقفة في أوروبا — وليس العامة فحسب — في تلك الفترة كانت حاقدة باغضة

1. (Edward Gibbon) مؤرخ إنجليزي، صاحب كتاب (اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها) الذي يعد من أهم وأعظم المراجع في موضوعه. كتب كتابه في ستة أجزاء من عام 1788-1776 م. من خلال كتابه، أثار "جيبون" الجدل حول مسألة فلسفية ولا تزال حتى اليوم حيث يرجع "جيبون" سقوط روما إلى هجمات البرابرة وتفشي المسيحية. انعكست شهرة وعظمة "جيبون" من خلال مقولته في التاريخ في العصور الوسطى: "أنا أصف انتصار البربرية والدين".

متعصبة، وغير حيادية عند الحديث عن عظماء الإسلام، فكيف يقول "دانتي" هذا عن النبي الحق، خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو خير البشر، وخير من وطأت قدماه هذه الدنيا؟ فنبينا المختار صلى الله عليه وسلم هو خير البشر، فقد اختصه ربه من دون الأنبياء والمرسلين في الدنيا والآخرة بجملة من الخصائص التي فضّله بها على سائر الأنبياء والمرسلين ومنها ما هو في الدنيا، وما هو في الآخرة ولذلك ينبغي علينا جميعا أن نعرف ونذكّر ببعض، وليس كل، هذه الخصائص لنلُمّ ولو باليسير عن قدر النبي عند الله سبحانه وتعالى، ولا نلتفت لما يقوله عنه كذبا وافتراءًا الغرب. قال ابن القيم عليه رحمة الله: "لا يعرف قدر النبي إلا الله العلي". اختص الله نبينا المصطفى المختار في الدنيا دون غيره من الأنبياء والمرسلين بالعديد والعديد من الخصائص له وحده دون غيره من البشر أو حتى من الأنبياء والرسل الآخرين، نذكر منها:

(1. نبوة خاتمة) من تشريف الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى ختم به النبيين والمرسلين فلا نبى بعده، والختام لا يكون إلا بالمسك فكان هو خير النبين والمرسلين وكانت شريعته خير الشرائع وأعظمها قدرا عند الله تعالى، قال الله تعالى: "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا".

(2. رسالة عامة) ما من نبى أو رسول إلا وأرسله الله لقومه، إلا محمد عليه الصلاة والسلام أرسله ربنا عز وجل للعالمين جميعا عربهم وعجمهم، إنسهم وجنهم، قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ". وقال تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا".

(3. رحمة مهداة) اختص الله حبيبه ومصطفاه بأن جعله رحمة لجميع الخلائق جميعهم مؤمنهم وكافرهم حتى الدواب أصابتها رحمة النبي عليه الصلاة والسلام فقال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ". وقال تعالى: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ". وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريره أن النبي عليه الصلاة والسلام قيل له ادع على المشركين فقال: "إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة".

(4. أمانا لأصحابه وأمته) اختص الله سبحانه وتعالى حبيبه ومصطفاه بأن جعل وجوده بين أصحابه أمانا لهم من العذاب بخلاف ما كان يحدث للأمم السابقة، حيث نزل عليهم العذاب في وجود أنبيائهم بين أظهرهم، قال تعالى: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ".

(5. العهد والميثاق) أخذ الله سبحانه وتعالى عهدا على جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام إلى المسيح عليه السلام أنه إذا ما ظهر النبي العربى الأمي محمد بن عبدالله أن يتركوا ما عليه ويتبعوه وينصروه، وأخذ الله عليهم ميثاقا وعهدا بذلك، فقال عز وجل: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي، قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ".

(6. القسم بحياته) من خصائص النبي عليه الصلاة والسلام أن الله أقسم بحياته، وهذا القسم يدل على عظم وعلو شرف المقسم به، وأن حياته لجديرة أن يقسم بها ربنا عز وجل لما فيها من الخير والبركات ولم يثبت هذا لغيره من الأنبياء والمرسلين قال تعالى: "لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ".

(7. نداؤه عليه بصفة النبوة والرسالة) من شرف النبي عليه الصلاة والسلام وعلو مقامه على سائر الأنبياء والمرسلين أن الله تعالى ما نادى عليه باسمه مجردا، أي ما قال يا محمد، إنما قال: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، وما اسم محمد عليه الصلاة والسلام في القرآن إلا على صفة الخبر ومقترنا بصفة النبوة والرسالة.

(8. نهى المؤمنين عن مناداته باسمه) من تكريم المولى عز وجل لحبيبه ومصطفاه وإعلاء قدره نهى المؤمنين عن مناداته باسمه مجردا، كما يفعل الناس مع بعضهم وكما كانت تفعل الأمم السابقة مع الأنبياء والمرسلين، قال جل علاه: "لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا".

(9. المغفرة لذنوبه) من خصائصه عليه الصلاة والسلام أيضا إخبار المولى عز وجل له بمغفرة ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر، ولم يكن ذلك لغيره من الأنبياء والمرسلين قال تعالى: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا، لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا". وقال تعالى: "أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ". ومما يعتقده الجهال أنه كانت لرسول الله ذنوب يستغفر منها، وما كان له ذنب إنما استغفاره كان تقربا إلى الله وخوفا من أن يكون قد قصر في البلاغ والدعوة.

(معجزة خالدة) اختصه الله سبحانه وتعالى بمعجزة خالدة إلى أن تقوم الساعة وهي القرآن الكريم، فما من نبي إلا وانقضت معجزته وانصرمت في حياته، قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ". وقال تعالى متحديا الإنس والجن: "قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا".

لم يكتفِ "دانتي" بالحديث بطريقة غير لائقة عن نبينا المصطفى وحده، بل تهجم على العديد من عظماء التاريخ، فصنف ضمن المستحقين للجحيم عددا من أعلام المسلمين كعلي ابن أبي طالب وابن سينا وابن رشد وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم، كما صنف ضمن "الوثنيين" "هكتور"، و"إينياس"، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطو. والغريب في الأمر أنه ورغم تصنيفه هذا أبدى "دانتي" إعجابه بالفضائل والمنجزات العظيمة لهؤلاء الأعلام، ولكنه لم يجد بُدًّا من الحكم عليهم في جهنم لأنهم ليسوا مسيحيين. لاشك أن "دانتي" كاتب عبقري، يصيغ عباراته بحرفية منقطعة النظير، لكن تناوله للشخصيات لم يكن يخضع للحيادية والعقلانية، وفي كثير من الأحيان كان حكمه عليهم منافيا للمنطق والعقل والحقيقة.

لم يكن "دانتي" جاهلا بالشرق ولا بالإسلام عندما كتب هذه الكوميديا، حتى نوسمه بعدم المعرفة، حيث يقول أ. حلمي النمنم في مقالة له بعنوان "دانتي... مستلهم الإسلام" في جريدة "الإتحاد الإماراتية" بتاريخ 21 أكتوبر 2010: وحينما يذكر الشرق بالنسبة لـ"دانتي" فهذا يعني في المقام الأول الإسلام، ففي عصر "دانتي" كان الإسلام يغطي جزءاً كبيراً من الشرق جغرافياً ودينياً وثقافياً وحضارياً وعلاقة "دانتي" بالإسلام والثقافة العربية موضع اهتمام كثيرين، فقد أتيح له أن يعرفها عبر مسارات مهمة منها الأندلس وجنوب إيطاليا، وقد وصل إليها المسلمون وانتشرت ثقافتهم بها، وكذلك الحروب الصليبية وما كان يكتب عنها في الغرب، سواء من الرحالة أو الذين شاركوا فيها وأشار عدد من الدارسين الأوروبيين إلى علاقة "دانتي" وتأثره الشديد بفلسفة ابن رشد، حتى أنه يُعد عند الفيلسوف الفرنسي

"أتين جيلسون"[1] رشديا (أي على مذهب ابن رشد)، ومن أبرز نماذج ما يعرف بالرشدية اللاتينية، والنقطة المثارة في هذا الصدد نظرية ابن رشد في العقل الكلي وقوله بأنه لا يمكن أن يكون للجنس البشري عقل كلي واحد ممكن، وجوهر مستقل تماما عن الجسم، وأن المعرفة بالنسبة للإنسان الفرد لا تعني شيئا أكثر من المشاركة في جزء ما أو آخر من المعرفة التي يملكها هذا العقل الكلي، ويذهب "دانتي" إلى أن كل أفراد الجنس البشري الموجودين في زمان ما على الأرض يمكن اعتبارهم جماعيا معادلين للعقل الممكن الواحد الذي يقول به ابن رشد، وأيا كان الأمر فإن تأثر "دانتي" بابن رشد الفيلسوف الأندلسي المسلم يعكس جزءا من تأثر "دانتي" بالثقافة الإسلامية والمفكرين الإسلاميين ومن ثم الثقافة العربية.

وفي مقالة بعنوان "فضل الحضارة الإسلاميه على النهضة الأوروبية" بقلم د. رضا العطار يعرض الكاتب مقتبسات من كتاب "الحضارة"[2] لحسين مؤنس[3]، وفي هذه المقالة الثرية يتم سرد — بتصرف — الكثير من

1. (Étienne Gilson) (1884-1978). فيلسوف ومؤرخ للفلسفة الفرنسية، اهتم بالفلسفة الوسيطية، بعد أن كان من المتخصصين في الفكر الديكارتي. اهتم أيضاً بتقليد "توما الأكويني" الفلسفي. لم يعتبر نفسه مدرسيا جديداً ولا توماويا جديداً. وفي سنة 1946 أصبح عضواً في الأكاديمية الفرنسية.

2. يعد هذا الكتاب هو الكتاب الأول من سلسلة عالم المعرفة. يتحدث الكتاب عن الحضارة وماهيتها وعوامل قيامها ومظاهرها والفرق بينا وبين التقدم والفرق بينها وبين الثقافة، ويستعين الكاتب في بحثه هذا باستلام كثير من أقوال ابن خلدون بإثباتها أو بإثبات خطأها كما يهتم كثيرا بأقوال كثير من العلماء الأوربيين المحدثين مثل تونبي وشبنجلر.

3. (1911-1996) هو كاتب وَمُفكر ومؤرخ مصري. لقي حسين مؤنس تقدير الهيئات العلمية، فدعي أستاذًا زائرًا في كثير من جامعات العالم، فحاضر في جامعات جامعة "الرباط" و"لندن"، و"درهام"، و"أندرو"، و"كامبردج"، و"إدنبره"، و"هامبورج"، و"بون"، واختير عضوًا في كثير من المجامع العلمية، مثل الجمعية المصرية التاريخية، والمجمع العلمي المصري، والمجلس الأعلى للفنون والآداب، والمجالس القومية المتخصصة،

أوجه الدعم والفائدة والنفع والأفضال المقدمة من الحضارة الإسلامية العظيمة والغنية وقتها إلى الغرب الفقير المضمحل حينها. وبما أن المقالة لكاتبها سالف الذكر طويلة للغاية فإنني أوجزها لك، أيها القارئ العزيز، في الأسطر القادمة. كانت أوروبا تعيش في ظلام القرون الوسطى وتعاني شعوبها (منذ سقوط روما) أقسى صنوف العذاب من الفقر والجهل والمرض لفترة جاوزت مئات السنين، بينما كانت العواصم في الوطن العربي الكبير كبغداد زمن العباسيين والقاهرة زمن الفاطميين وقرطبة زمن الأندلسيين تعجّ بمظاهر الازدهار الحضاري الزاهي ساطعة أنوارها المعرفية لا على بلدان المنطقة فحسب بل جاوزتها إلى البلدان الأوروبية ودخلت جامعاتها. كان المعلمون المسلمون وقتها يمثلون جل العالم المتحضر على وجه الأرض كان منهم فلكيون وصيادلة وأطباء وفلاسفة وأدباء وعلماء طبيعه ورياضيون أمثال الخوارزمي والكندي والمتنبي والرازي وابن يونس وابن رشد وسيبويه والخيام، وأما ابن الهيثم البصري المولد فقد وصفه الكاتب الأمريكي المعاصر "مايكل هاملتون مورجان"[1] بأينشتاين زمانه لأنه اكتشف نظريات علمية ساعدت كل من "كوبرنيكوس"[2] و"نيوتن" على تحقيق أهدافهم العلمية بعد ستمائة

وانتخب عضوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1985م، وكرمته مصر فمنحته جائزتها التقديرية سنة 1986م كما نال عدة أوسمة من دول مختلفة.

1. (**Michael Hamilton Morgan**) عالم سياسي مؤثر وكاتب وروائي أمريكي. ولد عام 1951 في مدينة تشارلوت، واكتسب شهرة واسعة من خلال كتابه عن التاريخ الضائع للعرب " Lost History: the Enduring Legacy of Muslim Scientists".

2. (Nicolaus Copernicus) (1473–1543) كان راهباً وعالماً رياضياتياً وفيلسوفا فلكياً وقانونياً وطبيباً وإدارياً ودبلوماسياً وجندياً بولندياً. كان أحد أعظم علماء عصره. يعتبر أول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جرماً يدور في فلكها في كتابه "حول دوران الأجرام السماوية". وهو مطور نظرية دوران الأرض، ويعتبر مؤسس علم الفلك الحديث.

سنة. وكتاب القانون في الطب لابن سينا الغني عن التعريف حيث اعتمد عليه كمرجع أساسي لدراسة الطب في الجامعات الأوروبية طيلة خمسمائة عام، أي إلى أواخر القرن الخامس عشر، ولا زالت أكثر جامعات العالم شهرة تحتفظ إلى اليوم بتماثيله وتسمي قاعاته باسمه. فجامعة "أكسفورد" تزين مكتبتها بتمثال ابن سينا إلى جانب "أرسطو" و"أفلاطون" اعترافا بقيمته العلمية.

عندما عبر طارق ابن زياد بجيشه الصغير المضيق إلى إسبانيا في العام الثمانين من الفتوحات الإسلامية، استقبله سكانها المحليون وساعدوه لتحريرهم من سلطة القوط البرابرة، فكانوا حقا شركاء في الفتح المبين. وقد تمكن هذا القائد الفذ من إنشاء دولة ظلت آثار عظمتها في العلم والعمران، قائمة ومثيرة حتى هذه اللحظة. يقول المؤرخ الشهير — "جوستاف لوبون"[1] — كانت إسبانيا زمن القوط ذات رخاء قليل وثقافة ضحلة، ولكن ما إن دخلها العرب في القرن الثامن الميلادي حتى بدأُوا ينشرون فيها رسالة الحضارة، فاستطاعوا في أقل من مائة عام أن يحيوا خراب الأرض ويقيموا أفخر المباني وينشطوا الحركة التجارية، بعدها تفرغوا لدراسة العلوم والأداب وترجموا الكتب الأجنبية وأسسوا الجامعات التي كانت وحدها الملجأ الوحيد لثقافة أوروبا لزمن طويل — وقد نمت مدينة قرطبة بسرعة حتى زاد

1. (Charles-Marie Gustave Le Bon) (1841-1931) هو طبيب ومؤرخ فرنسي، عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، كتب في علم الآثار وعلم الأنثروبولوجيا، وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند و"باريس 1884" و"الحضارة المصرية" و"حضارة العرب في الأندلس" و"سر تقدم الأمم" و"روح الاجتماع" الذي كان إنجازه الأول. هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر "غوستاف لوبون" على نهج معظم مؤرخي أوروبا، حيث اعتقد بوجود فضلٍ للحضارة الإسلامية على العالم الغربي.

عدد سكانها عن المليون نسمة وغدت الحياة فيها متسمة بالرفاه والنعيم. بدأ المسلمون في تأسيس حضارة متفوقة جعلت من إسبانيا أجمل وأغنى البلدان الأوروبية وأنشأوا مدناً كبيرة مزدهرة لم يكن لها نظير على وجه الأرض، خططها مهندسون واسعوا الإطلاع وشيدها بناؤون مهرة فغدت قرطبة عاصمة الأندلس مركز الثقافة لبلدان أوروبا قاطبة. كانت شوارع العاصمة تزيد على عشرة أميال طولا وقد عبدت وتمت إنارتها في الوقت الذي كانت فيه شوارع لندن وباريس ترابية وعرة وكان المواطنون يشقون طريقهم أثناء الليل في الظلام الحالك بصعوبة ويغوصون عميقا في الوحل بعد هطول الأمطار. لقد ازدهرت العلوم والآداب والفنون تحت سماء الأندلس وتطور فن الشعر وغدا زاهيا، فتح لخيال الشعراء آفاقا رحبة للعمل الخلاق وأصبح الأسلوب الشعري أكثر غنىً ومتانة والأقدر على التعبير عن جمال المشاعر الإنسانية ورهافة ورقة الأحاسيس. لقد بلغت العاصمة قرطبة أيام المجد العربي درجة عالية من التقدم الثقافي فكان في كل مدينة رئيسية جامعة ومكتبة عامة، وزخرت البلاد بالمكتبات التي جلبت كتبها النفيسة من بغداد والإسكندرية ودمشق وشملت مختلف مجالات العلم والمعرفة، وكانت مكتبة العاصمة قرطبة تحتوي على أكثر من نصف مليون كتاب، ونتيجة للإحتكاك الحضاري بين الشعوب انتشرت بين المجتمعات الأوروبية مفردات عربية كثيرة كالقطن والجبر والكحول والكيمياء. كما بلغت شأفة الفن عندهم حدا جعلت خليفة المسلمين يخرج بنفسه لاستقبال عالم موسيقى قدم إلى البلاد زائرا. كان طلاب العلم يتوافدون على معاهد الأندلس من قارة آسيا وإفريقيا وأوروبا ليرتشفوا من نهل الثقافات المتعددة وعندما كانوا يكملون دراستهم

يعودوا إلى أوطانهم لينشروا ما تعلموه في بلاد المسلمين. عندما قدم المسلمون إلى إسبانيا بدؤوا باستصلاح الأراضي بواسطة نظام سقاية متطور، وزرعوا قصب السكر والقطن والتوت والرز والموز. لقد أقام العرب المعالم العمرانية والمعرفية في كل مكان على عكس ملوك الأقاليم الأوروبية الذين كانوا غائصين في بحر جهالتهم غير مبالين لشؤون رعاياهم. كانت دولة الإسلام في الأندلس ترعى العلوم والأداب والفنون فكانت تكثر من إنشاء المعاهد، كانت في العاصمة وحدها ثلاثة آلاف مدرسة تشتمل مناهجها على مختلف العلوم كالرياضيات والفلك والزراعة والفقه والجغرافيا والطب. لقد برع العرب في علم الجغرافيا، ففي الوقت الذي كان فيه المعلمون في مدارس الأندلس يشرحون لتلامذتهم عن كروية الأرض ويصنع العالم العربي ابن يونس كرة جغرافية فضية يهديها إلى "روجر الثاني" ملك صقلية. كان الأوروبيون لا يزالون يجهلون حقيقة كروية الأرض لحين أعلن الفلكي الإيطالي جاليلو جاليلي عن اكتشافه كروية الأرض لكن بعد أكثر من خمسمائة عام.

كان العرب يجوبون بسفنهم الشراعية بحار الدنيا السبعة معتمدين على الرياح الموسمية وعلى إبرة القبلة — البوصلة — التي اخترعوها، مما جعلهم يتفوقون في فن الملاحة البحرية وصناعة السفن التجارية السريعة التي كان يقودها ربابين أفذاذ جابوا بها أرجاء المعمورة ووصلوا إلى موانئ الدنيا بأسرها. لقد كتب عرب إسبانيا عن قياس الوقت وبنوا أولى المراصد في أوروبا، كما نقلوا إلى إسبانيا من بلاد المشرق العربي ابتكارات علمية مهمة كمفهوم "الصِفْر" الذي اقتبسوه من الهند والذي استعمله الخوارزمي في بغداد أثناء اكتشافه علم الجبر، كما نقلوا

صناعة الورق من الصين عبر سمرقند عام 712 ميلادية والتي لم تنتشر هذه الصناعة في أوروبا إلا بعد مرور خمسة قرون على التاريخ المذكور.

أما في مجال انتقال القيم الأخلاقية للمشرق الإسلامي إلى الأمم الأوروبية بوسائل ثقافية، يخبرنا التاريخ أن مشاهير الفكر في فرنسا أمثال "فولتير" و"جان جاك روسو"[1] كانوا قد درسوا المعارف العربية المترجمة واستوعبوا مفاهيمها الروحية.

وخلال الحرب الصليبية والهجمات الأوروبية على الشرق، نقل المحاربون والمرافقون لهم الكثير والكثير من المنجزات العلمية والتقنية لدى المسلمين والعرب إلى بلدانهم، كانت في مقدمتها صناعة الزجاج الملون التي نقلت إلى "جنوه" في إيطاليا وكذلك فن صياغة الذهب والفضة من المدن السورية إلى مدن أوروبية كثيرة مثلما اقتبسوا صناعة طبع النقوش الفنية على الأنسجة بطريقة الكبس من الديار المصرية. نعم لقد انتهت الحروب الصليبية بعد زهاء قرنين من الزمن دون أن تحقق أهدافها المعلنة لكنها حققت أهدافا غير معلنة. لقد توثقت العلاقات الثقافية في فترات الهدوء النسبي التي تخللتها سنوات الحرب الطويلة بين البلدان الإسلامية المتحضرة، المطلة على الشاطئ

---

1. (Jean-Jacques Rousseau) (1712-1778) هو كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات من جنيف، يعد من أهم كتاب عصر النهضة، وهي فترة من التاريخ الأوروبي، امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلاديين. ساعدت فلسفة "روسو" في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة. كتب "روسو" كتابا رئيسيا في التربية اسمه "إميل" عن التربية السليمة، وذلك على هيئة قصة طفل. وتبدأ القصة بنشأة الطفل إميل وتنتهي بزواجه وهو في سن 25 سنة. يربي النشء على طبيعته بدون إجباره على حفظ العلوم والثقافات، بذلك يتعلم النشء من طبيعة ميوله وبالتجربة الشخصية. ويرى "روسو" أن النشء الذي ينشأ على تلك الطريقة الحرة هو الأصلح لمجتمعه. انتشرت طريقة "روسو" في تربية النشء سريعا في مختلف الدول الأوروبية، وهي تعتبر حتى يومنا هذا الطريقة الأساسية لطرق التعليم الحديثة.

الشرقي للبحر المتوسط وبلدان أوروبا الجنوبية المتاخمة للجزء الغربي لهذا البحر، كانت أولى ثمراتها تأسيس جامعة "باريس" عام 1160 ثم جامعة "أكسفورد" كفرع لها، ثم جامعة "كامبردج" عام 1209. والجدير بالذكر أن المناهج الدراسية لهذه الجامعات كانت هي نفسها التي تدرس في المعاهد الإسلامية دون تبديل أو تجديد أو حتى تعديل.

إن المسلمين العرب الذين حقنوا الأوروبين بنور الثقافة طيلة ثمانية قرون متتالية بهدف إخراجهم من ظلمات الجهل والخرافة وإيصالهم إلى دنيا العلم والمعرفة يكافئون هذه الرعاية الحميدة بمواقف اتصفت بمنتهى الهمجية. فقد نكثت حكومة الإسبان بالعهود والمواثيق التي قطعوها على أنفسهم للحفاظ على أرواح المسلمين واحترام مقدساتهم، وانقلبوا إلى وحوش كاسرة بعد انتهاء الحرب، فقد أرغموا المسلمين على ركوب سفن غير صالحة للإبحار دفعوا بها بإتجاه سواحل شمال إفريقيا فغرق أكثر من مائة ألف إنسان في عرض البحر. واستعملوا معهم أقسى صنوف الاضطهاد، كان لزاما على المسلمين أن يتركوا أبواب منازلهم مفتوحة ليل نهار تحت أعين المخبرين لكيلا يمارسون طقوسهم التعبدية، كما منعوا إطلاق أسماء إسلامية على أولادهم وإلا تعرضوا إلى عقوبة الإعدام. يخبرنا التاريخ أن عدد المواطنين العرب والمسلمين الذين شردتهم حكومة إسبانيا كان يفوق ثلاثة ملايين إنسان، التجأ معظمهم إلى الممالك الشرقية كتركيا والشام ومصر ودول شمال إفريقيا وجزر البحر المتوسط وأقلهم وجدوا الملاذ في أمريكا الجنوبية. معظم بلدان أوروبا كانت حتى نهايات القرن الخامس عشر في حالة من البدائية والهمجية، فقد كانت حياتهم أقرب إلى حياة سكان الأدغال.

وإلى هنا تنتهي مقالة الدكتور رضا العطار التي حققتُها وأضفت إليها وحذفت منها.

ومع ذلك لم يخلُ الغرب والمستشرقين من شتى أنحاء العالم من مؤرخين ومفكرين أبصروا ما للمسلمين من فضل في الحضارة الإنسانية على الحضارة الأوروبية والعالمية بوجه عام؛ فألفوا كتبًا ودراسات منصفة تشيد بفضل المسلمين الذي لا يمكن إنكاره. فقط نذكر قليلا منهم درسوا هذه الحضارة دراسة وافية وأبدوا إعجابهم بها. يصف المؤرخ الأمريكي الشهير "أرنولد توينبي"[1] مقدمة ابن خلدون – الذي عاصر إسبانيا في حضارتها الأندلسية – بأعظم كتاب في التاريخ، مضيفا أن الفكر الإقتصادي والإجتماعي الإنساني الذي اشتملت عليه المقدمة هو فكر متقدم على كثير مما توصل إليه المفكرون الغربيون حديثا مما يدل على سعة الأفق وخصوبة التحصيل والخبرة الفائقة في كافة مجالات الحياة. ويقول الموسوعي "ويليام ديورانت"[2] في "قصة الحضارة" ما نصه: عندما يتم مسح أدق وأشمل للتراث، يُصنف القرن العاشر في الشرق الإسلامي كأحد العصور الذهبية في تاريخ العقل الإنساني. قصتنا تبدأ من الشرق، لا لأنه كان مسرحا لأقدم المدنيات فحسب، بل لأن تلك المدنيات كانت البطانة التاريخية لثقافة أوروبا. وكم كان نظامنا الإقتصادي والسياسي وكذلك علومنا وأدابنا وفلسفتنا وديننا يرتد إلى الشرق! إني أرى في هذه اللحظة أن التعصب الإقليمي الذي سار عليه كتابنا التقليديين لم تعد مجرد غلطة، بل ربما كان إخفاقا ذريعا في فهم الواقع ونقصا فاضحا في الذكاء". كما يضع المؤرخ

1. (Arnold Joseph Toynbee) (1889-1975). أهم أعماله دراسة للتاريخ، وهو من أشهر المؤرخين في القرن العشرين.

2. (William James Durant) (1885-1981) فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي من أشهر مؤلفاته كتاب "قصة الحضارة" والذي شاركته زوجته "أريل ديورانت" في تأليفه.

الإيطالي "أليساندرو بوزاني" اللوم على بعض المؤرخين، مسجلا عليهم نقاطا سوداء لتناسيهم فضل الحضارة الإسلامية وسرد الحقائق التاريخية بشكل انحيازي كبير. ويقول الأديب الفرنسي "أناتول فرانس"[1] مخاطبا الأمير فيصل الأول أثناء حضوره مؤتمر باريس للصلح عام 1919: "أحييك بصفتك قائدا عربيا مسلما، فالمسلمون كان لهم النصيب الأكبر في ترقية العالم وإسعاده، فقد خدموا الحضارة الإنسانية خدمة جلية". ويقول "كارل ماركس"[2] رأيه في هذا الصدد ما نصه — لقد وجد العرب نظام الحساب العشري ومبادئ الجبر والكتابة الحديثة للأعداد، في حين أن المسيحية خلال القرون الوسطى لم تقدم شيئا. إن الذي مهد السبيل أمام مادية القرن الثالث عشر وأخذ يترسخ ويمد جذوره بين الشعوب الأوروبية هو الفكر العربي الخلاق.

يقول "توماس أرنولد"[3]: "كانت العلوم الإسلامية وهي في أوج

1. (Anatole France) هو روائي وناقد فرنسي ولد في باريس في 16 أبريل 1844 وتوفي في عام. كان أبوه يبيع الكتب على رصيف "مالاكيه" فقد كانت بدايته في دكان أبيه وكان تحصيله العلم في مدرسة "ستانيسلاس" وكان في صباه يساهم في تحرير بعض المجلات مثل صياد التراجم والجريدة المقفاة وسنة 1868 أصدر تأليفه الأول "القصائد الذهبية" وتأليفا آخر سنة 1876 اسمه "الأعراس الكورنتية". فهرس كتبه طويل متنوع المواضيع أكثره من الكتابات الموضوعة بقوة الخيال ومن القصص والأخبار فمنها "جوكاست والهرم الهزيل" و"صدفة اللؤلؤ" و"جريمة سلفستر بونار" و"الزنبقة الحمراء" و"تاييس" و"ثورة الملائكة" و"الآلهة عطشى" و"بير سانت كلير" و"النساء السبع " وكان يظهر دائما في كتبه لاسيّما كتابه "بطرس الصغير" وكتاب "الحياة أيام الزهر" اللذين يصف فيهما أيام صباه. دخل في أكاديمية اللغة الفرنسية في عام 1869 متحصلا على المقعد 38. تحصل على جائزة نوبل في الأدب لسنة 1921 لمجموع أعماله.

2. (Karl Marx) فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، ومؤرخ، وصحفي واشتراكي ثوري (1883-1818). لعبت أفكاره دورًا هامًّا في تأسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية. يعد ماركس أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ. نشر العديد من الكتب خلال حياته، أهمُها بيان الحزب الشيوعي (1848)، ورأس المال (1867–1894).

3. (Thomas Walker Arnold) (1864-1930) مستشرق بريطاني شهير، بدأ حياته العلمية في جامعة

عظمتها تضيء كما يضيء القمر فتُبدد غياهب الظلام الذي كان يلف أوروبا في القرون الوسطى". ويقول "جورج سارتون"[1] في كتابه (مقدمة في تاريخ العلم): "إنّ الجانب الأكبر من مهام الفكر الإنساني اضطلع به المسلمون؛ فـ"الفارابي" أعظم الفلاسفة، و"المسعودي" أعظم الجغرافيين، و"الطبري" أعظم المؤرخين". كذلك يُبدي "إدوارد بالمر تومبسون"[2] إعجابه بالعلوم الإسلامية فيقول: "إن انتعاش العلم في العالم الغربي نشأ بسبب تأثر شعوب غربيِّ أوروبا بالمعرفة العلمية العربية، وبسبب الترجمة السريعة لمؤلفات المسلمين في حقل العلوم

"كامبردج"، حيث أظهر حبه للغات فتعلم العربية وانتقل للعمل باحثاً في جامعة "عليكرا" في الهند حيث أمضى هناك عشر سنوات ألف خلالها كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام)، ثم عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة "لاهور"، وفي عام 1904 عاد إلى لندن ليصبح أميناً مساعداً لمكتبة إدارة الحكومة الهندية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وعمل في الوقت نفسه أستاذاً غير متفرغ في جامعة لندن وكان عضو هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت في "ليدن" بهولندا في طبعتها الأولى. عمل أستاذاً زائراً في الجامعة المصرية عام 1930. ويذكر أنه كان معلما للمفكر الإسلامي الهندي محمد إقبال.

1. (George Sarton)صيدلي ومؤرخ بلجيكي يعتبر مؤسس علم تاريخ العلوم. وُلِدَ بمدينة "خنت" ببلجيكا في 1884؛ تَخرّجَ بالجامعةِ في عام 1906 وبعد سنتين استحق ميدالية ذهبية لبحث قدمه في الكيمياء؛ استلمَ شهادة الدكتوراة الفلسفية في الرياضيات من جامعة "Ghent" في 1911؛ وهو متخصص في العلوم الطبيعية والرياضيات؛ هاجرَ إلى إنجلترا بَعْدَ أَنْ اندلعتْ الحرب العالمية الأولى، ومنها ذهب إلى الولايات المتّحدةِ في عام 1915، حيث استقر بها لبقية حياته؛ عَملَ لمؤسسةِ "Carnegie" كارنيجي للسلام العالمي وحاضر بجامعة "هارفارد"؛ درس العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت؛ ألقى محاضرات حول فضل العرب على الفكر الإنساني؛ أصبحَ مُحاضر في جامعةِ "هارفارد"، وأستاذاً لتأريخِ العلم مِنْ 1951-1940.

2. (Edward Palmer Thompson) (1993-1924) هو مؤرخ بريطاني، وكاتب، ومفكر اشتراكي، وداعي للسلام. يشتهر "تومبسون" بسبب عمله في مجال التاريخ الذي يبحث في الحركات الراديكالية البريطانية في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، ويُعد كتاب "صنع الطبقة العاملة الإنجليزية" (1963) أشهر ما كتبه في هذا المجال. ونشر تومبسون أيضًا السير الذاتية لشخصيتين وهما "وليام موريس" (1955) و"وليام بليك" (1993)، وقد نُشرت الثانية بعد وفاة "تومبسون". بالإضافة إلى ذلك، كان لـ"تومبسون" إنتاج غزير في فني الصحافة وكتابة المقالات. ونشر أيضًا رواية وهي "أوراق سايكاوس" (The Sykaos Papers)، بالإضافة إلى مجموعة أشعار.

ونقلها من العربية إلى اللاتينية لغة التعليم الدولية آنذاك". ويقول في مكان آخر: "إن ولادة العلم في الغرب ربما كان أمجد قسم وأعظم إنجاز في تاريخ المكتبات الإسلامية".

ويقول المستشرق "آدم متز"[1] في كتابه (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري): "لا يعرف التاريخ أمة اهتمت باقتناء الكتب والاعتزاز بها كما فعل المسلمون في عصور نهضتهم وازدهارهم، فقد كان في كل بيت مكتبة". ويقول المستشرق الكندي "رينيه جيبون": "لم يدرك كثير من الغربيين قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الإسلامية، ولا فقهوا حقيقة ما أخذوه من الحضارة العربية في القرون الماضية". ويقول "دُولنبر" في كتاب (تاريخ الفلك): "لقد منَح اعتمادُ العرب على التجربة مؤلفاتِهم دقة وإبداعًا، ولم يبتعد العرب عن الإبداع إلا في الفلسفة التي كان يتعذر قيامها على التجربة". ويستطرد قائلاً: "ومن مباحثنا في أعمال العرب العلمية أنهم أنجزوا في ثلاثة قرون أو أربعة قرون من الاكتشافات ما يزيد على ما حققه الإغريق في زمن أطول من ذلك كثيرًا، وكان تراث اليونان قد انتقل إلى البيزنطيين الذين عادوا لا يستفيدون منه زمنًا طويلاً، ولما آل إلى العرب حوَّلوه إلى غير ما كان عليه، فتلقّاه ورثتهم (يقصد الأوروبيين حديثًا) وحوَّلوه مخلوقًا آخر".

ويقول المؤرخُ الفرنسيُّ الشهير "سديو"[2] في "خلاصة تاريخ العرب"،

---

1. (Adam Mez) (1869-1917) مستشرق وأديب، له عدة دراسات إسلامية قيمة وشهيرة. اهتم بالأدب العربي في القرن الرابع الهجري وما تلاه. له كتاب "Die Renaissance des Islams" بالألمانية، ترجمه إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، وسماه "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري".

2. (Louis Pierre Eugène Amélie Sédillot) أو بالعربية "لوي (لويس) بيير أوجين سديو" (1808-1875) هو مستشرق فرنسي، وهو الابن الثاني لـ"جان جاك أمانويل سديو". صاحب كتاب "Histoire des Arabes" ألفه بالفرنسية، وأشرف على مبارك باشا على ترجمته إلى العربية مهذباً، وسماه "خلاصة تاريخ العرب".

الذي ألفه في عشرين سنة؛ بحثًا عن تاريخ المسلمين، وعظيم حضارتهم، ونتاجهم العلمي الهائل، فقال: "لقد استطاع المسلمون أن ينشروا العلوم والمعارف والرقيَّ والتمدُّن في المشرق والمغرب، حين كان الأوروبيون إذ ذاك في ظلمات جهل القرون الوسطى..."، إلى أن يقول: "ولقد كان العرب والمسلمون – بما قاموا به من ابتكارات علمية – ممن أرْسَوا أركان الحضارة والمعارف، ناهيك عما لهم من إنتاج، وجهود علمية، في ميادين علوم الطب، والفلك، والتاريخ والكيمياء والصيدَلَة وعلوم النبات والاقتصاد الزراعي وغير ذلك من أنواع العلوم التي ورِثناها نحن الأوروبيون عنهم. وبحقٍّ كانوا هم معلمينا والأساتذة لنا".

هذا، ولم ينسَ فضلاء علماء الغرب أن يعترفوا بهذه الحقيقة. ونستقي من كتاب "حضارة العرب" لـ"جوستاف لوبون" حيث يقول: "وكلما أمعنا في دراسة حضارة العرب والمسلمين وكتبهم العلمية واختراعاتهم وفنونهم، ظهرت لنا حقائق جديدة وآفاق واسعة، ولسرعان ما رأيتَهم أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وإن جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون موردًا علميًّا سوى مؤلفاتهم، وإنهم هم الذين مدّنُوا أوروبا مادة وعقلاً وأخلاقًا، وإن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنه لم يَفُقْهم قوم في الإبداع الفني". ويستطرد "جوستاف لوبون" قائلاً: "ولم يقتصر فضل العرب والمسلمين في ميدان الحضارة على أنفسهم؛ فقد كان لهم الأثر البالغ في الشرق والغرب، فهُما مدينان لهم في تمدّنِهم، وإن هذا التأثير خاص بهم وحدهم؛ فهم الذين هذّبوا بتأثيرهم الخُلُقي البرابرة، وفتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالَم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية، فكانوا مُمدِّنين لنا وأئمة لنا ستة قرون. فقد ظلّت ترجمات كتب العرب

ولا سيما الكتب العلمية مصدرًا وحيدًا للتدريس في جامعات أوروبا خمسة أو ستة قرون. فعَلى العالم أن يعترف للعرب والمسلمين بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة".

ويذكر المستشرق الصيني "لي قوان فبين" وكيل وزارة الخارجية الصينية، وصاحب الدراسات العاشقة لتراث وحضارة العرب والمسلمين "أن الحضارة الإسلامية من أقوى حضارات الأرض، وأنها قادرة على اجتياز أي عقبات تواجهها؛ لأنها حضارة إنسانية الطابع، عالمية الأداء، رفيعة القدر علميًّا وفكريًّا وثقافيًّا. وبعدما تعمّقتُ في الأدب العربي القديم والحديث ازْداد اقتناعي بأن الشرق يمتلك سحر الحضارة والأدب والثقافة، وأنه صاحبُ الكلمة المفكِّرة والعقلية المنظمة. إذن فالحضارة الإسلامية تحمل عوامل البقاء؛ لأنها عصيَّة على الهدم، لتوافر أركان التجدد والحيوية في نبضها المتدفق، وهي من أقوى حضارات الأرض قاطبة؛ لأنها تستوعب كل ما هو مفيد من الآخر وتصهَره في نفسها ليصبح من أبنائها، بخلاف الحضارة الغربية المعاصرة. كما أن الحضارة العربية الإسلامية تتسم بأنها عالمية الأداء والرسالة، إنسانية الطابع، جوهرها نقي ومتسامح".

ويقول المستشرق والباحث الإسباني الدكتور "خوسيه لويس بارسلو": "يجب أن نقرر الأهمية الحقيقية لتأثير العلوم الإسلامية، فهي من الناحية الموضوعية قد ساعدت على وجود المعايير الطبية الحالية". ويذكر من هذا المنطلق: "فقد أرسى الإسلام مدنية متقدمة تعدُّ في الوقت الحاضر من أرْوع المدنيات في كل العصور، كذلك فإنه أيضًا قد جمع حضارة متينة متقدمة، وذلك إذا ما طرحنا جانبًا الاضمحلالَ الواضح للقوى السياسية، والتفكك الظاهر للدول الإسلامية، فإن

الشخصية الجماعية للإسلام قد صمَدتْ أمام كافَّة أنواع التغيرات، ذلك لأن معيار الشخصية الجماعية هو المدنيةُ عامة والتقاليد التي لم تنطفِئْ أو تَخمُد. هذه هي روح الإسلام كما يجب أن يفهمها أولئك الذين يحاولون عن عمدٍ وسوءِ نية تشويه صورته".

يقول "جون براند تراند"[1]: "إن قرطبة التي فاقت كل حواضر أوروبا مدنيةً –أثناء القرن العاشر– كانت في الحقيقة محطَّ إعجاب العالم ودهشته، كمدينة فينسيا في أعين دول البلقان، وكان السياح القادمون من الشمال يسمعون بما هو أشبه بالخشوع والرهبة عن تلك المدينة، التي تحوي سبعين مكتبة، وتسعمائة حمَّام عمومي؛ فإنْ دعت الحاجةُ حُكَّام "ليون" أو "النافار"[2] أو "برشلونة" إلى جَرَّاحٍ، أو مهندس، أو معماري، أو حائك ثياب، أو موسيقي فلا يتَّجِهُونَ بمطالبهم إلاَّ إلى قرطبة".

شهادة "وليام مونتجمري وات"[3]: "لم يكن غريبًا أن نجد رجالاً عظيمي الكفاءة في أكثر من ميدان واحد، فابن سينا الذي ربما كان أعظم فلاسفة المسلمين، كان أيضًا طبيبًا عظيمًا، وأن ابن رشد، وهو في مصاف ابن سينا في الفلسفة، كان يعمل في نفس الوقت

1. (John Brande Trend) ويقال له أيضا (J.B. Trend) (1887-1958) رائد من رواد تاريخ إسبانيا، شغل كرسي الأستاذية في جامعة "كامبردج"، واشتغل في معهد الدراسات الشرقية بلندن، وزار العديد من بلاد الغرب والشرق، وتقلَّد العديد من الأوسمة. ومن آثاره الفكرية: (صورة لإسبانيا الحديثة) عام 1921، و(موسيقى تاريخ إسبانيا) عام 1925، و(لغة إسبانيا وتاريخها) عام 1953، و(إسبانيا والبرتغال).

2. (Navarra) تقع نافارا في شمال إسبانيا، تحدها من الشمال فرنسا، ومن الجنوب منطقة "لا ريوخا"، ومن الشرق والجنوب الشرقي منطقة "أراجون"، ومن الغرب منطقة إقليم "الباسك".

3. (William Montgomery Watt) (1909-2006) كان مستشرقا بريطانيا عمل أستاذا للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي بجامعة إدنبرة في أدنبرة، اسكتلندا. ومن أشهر كتبه كتاب "محمد في مكة" 1953 وكتاب "محمد في المدينة" 1956.

قاضيًا ويكتب عددًا من الكتب في الطب". ونذكر أيضا هنا شهادة المستشرق الإنجليزي "ألفريد جيوم"[1]: "كانت سالرنو بوصفها جامعة طبية، فيها نفوذ عظيم للطب العربي، إن لم يكن تأثيرًا إبداعيًّا خلاقًا فهو على أقل تقدير تغذية وإدامة[2]".

في الحقيقة لم أقصد من وراء حديثي هذا مباهاة أو تغنيا بأمجاد عهد قد مضى وولى]وياليته يعود يوما – وإن شاء الله حتما سيعود يوما ما من الدهر[، بل إنما أود أن أؤكد على استحقاقية العرب والمسلمين وحتمية الإقرار لدورهم الإيجابي في التاريخ. خاصة بعدما طمست معارفهم خلال القرون الوسطى وكادت شعلتها تنطفئ إلى الأبد. وقبل الختام لهذه الجزئية أقول — لقد حظيت بلدان أوروبا في عصورها المظلمة بحضارة عربية رائدة ونهضة ثقافية صاعدة كانت لها بمثابة نور وهداية ساعدتها على الخروج من ركودها التقليدي الذي كاد أن يودي بها إلى حيث لا رجعة، ودفعت بها باتجاه بناء صرح مدنية راقية أضحت معطياتها الإنسانية تصبغ حياتنا المعاصرة بتقنياتها الحديثة. ومن خلال الصفحات القليلة الماضية، لم يكن مبتغاي سوى أن أبرهن للجميع أن الإسلام وحضارته، وقبلهما نبيّه هم أصحاب فضل على الغرب بأسره، ولا يستحقون منهم أي نعت مخالف لهذه الحقيقة، كما أردت أن أوضح بالدليل القاطع أن تناول الشخصيات الإسلامية التي تحدث عنها "دانتي" في الجحيم لم يكن تناولا موضوعيا حياديا منزها، وإنما

1. (Alfred Guillaume) (1888-1966) مستشرق وباحث إسلامي. أهم مؤلفاته: تراث الإسلام - بمعاونة "أرنولد وآربري" (لندن 1924، أكسفورد 1931)، نقله إلى العربية توفيق الطويل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1936. اليهود والعرب (مؤسسة الاكتشافات الفلسطينية، 1946).الإسلام (لندن 1954)، نقله إلى العربية محمد مصطفى هدارة وشوقي السكري، 1955.

2. ذو تأثير دائم أو طويل الأمد.

كان مبنيا على عصبية بغيضة غير مبررة، منساقا في ذلك وراء الأقاويل والأكاذيب المنتشرة وقتها في الغرب، وهذا أمر غير مقبول، وخاصة إن كان صادرا من شخصية ذات ثقل أدبي وفكري، مثل "دانتي".

وختاما يقول الشاعر والكاتب والناقد الأدبي الإنجليزي الشهير والحاصل على جائزة نوبل في الآداب "تي إس إيليوت"[1] موضحا أهمية العمل الذي بين أيدينا: "إن العالم الحديث منقسم بين "دانتي" و"شكسبير"، وليس ثمة ثالث بينهما". لا شكّ أنّ الشروع في قراءة الكوميديا الإلهية لشاعر إيطاليا الأعظم "دانتي أليجييري" سيعترضه عقبات عديدة، فهذا العمل الخالد يشتمل على الكثير من الإشارات للآداب الكلاسيكية وعلم اللاهوت في العصور الوسطى والشؤون السياسية الإيطالية والكثير من القضايا الأدبية التي لا يزال الباحثون يتجادلون حولها ويختلفون.

والآن أتركك أيها القارئ العزيز لتنهل من فيض "الكوميديا الإلهية"، العمل الأبرز ليس في الإبداع الإيطالي فحسب، وإنما الأوروبي، بل والعالمي على حد سواء، بغض النظر عن اختلافنا معه من الناحية الدينية. قراءة ممتعة!

القاهرة في 25 يوليو 2017.

المترجمان

د. عبدالله عبدالعاطي النجار – عصام السيد علي

1. (Thomas Stearns Eliot) شاعر ومسرحي وناقد أدبي حائزٌ على جائزة نوبل في الأدب في 1948. وُلد في 1888 وتوفي في 1965. كتب قصائد: أغنية "حب جي". "ألفرد بروفروك"، "الرجال الجوف"، "أربعاء الرماد"، و"الرباعيات الأربع". من مسرحياته: "جريمة في الكاتدرائية" و"حفلة كوكتيل". كما أنه كاتب مقالة "التقليد والموهبة الفردية". وُلد "إليوت" في الولايات المتحدة الأمريكية وانتقل إلى المملكة المتحدة في 1914، ثم أصبح أحد الرعايا البريطانيين في 1927.